

منهج النورسي في بيان اعجاز القرآن

د. زياد خليل محمد الدغامين *

... إعلم ان الديانة والشريعة الاسلامية المؤسسة على البرهان العقلي ملخصة من علوم وفنون تضمنت العقد الحياتية في جميع العلوم الاسلامية: من فن تهذيب الروح، وعلم رياضة القلب، وعلم تربية الوجدان، فن تدبير الجسد، وعلم تدبير المنزل، وفن سياسة المدنية، وعلم نظمات العالم، وفن الحقوق، وعلم المعاملات، وفن الآداب الاجتماعية.. فمن زين وجدانه بالانصاف يصدق بأن حقيقة هذه الشريعة خارجة عن طاقة البشر...

النورسي

كلما شاب الزمان، شبَّ القرآن وتوضحت رموزه..

النورسي

أرى من الفضول التحري عن برهان وفي اليد قرآن، وهو معجزة خالدة. أتراني أتضايق من إلزام الجاحدين وفي اليد قرآن، وهو برهان الحقيقة...

النورسي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد امام الانبياء وخاتم النبيين والمرسلين، وعلى آله وصحبه اجمعين، ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين. وبعد:

فما يزال العلماء يدرسون القرآن فيجدونه كريما معطاء قادرا على ان يواجه المناهج الوضعية، ويستوعب مستجدات الحياة في كل الازمنة، وما يزال باب التحدي مشرعا على مصراعيه، يتحدى الانس والجان في رسم طريق المعرفة ومنهج الفكر، وفي وضع اسس الحضارة ومبادئ الحياة. ويظهر لهم كل يوم وجه جديد من وجوه اعجازه، فقديما قالوا ان روعة بيانه هي التي اعجبت الفصحاء وخطفت عقولهم. وقالوا انه معجز بما تضمنه من اخبار عن الغيب وتنبؤات مستقبلية. وقالوا إن من وجوه اعجازه تأثيره في القلوب وصنيعه في النفوس، فانك لاتسمع كلاما قط منظوما ولامنثورا اذا قرع السمع خلص الى القلب كهذا القرآن. وقالوا ان من وجوه اعجازه ماتضمنه من حقائق علمية عن الكون وسننه. وقال المحدثون: انه معجز بما تضمنه من قوانين في التربية والتشريع، وظهر حديثا القول بوجه جديد من وجوه اعجازه وهو الاعجاز المنهجي والمعرفي، ويأتي بديع الزمان ليقول: ان القرآن بحر المعجزات ومنبعها.

انني آسف كل الاسف: لان معظم الذين كتبوا في اعجاز القرآن من المحدثين - ان لم يكن كلهم - لم يتنبهوا الى ما كتبه بديع الزمان النورسي رحمه الله تعالى، رغم انه قد نهج نهجا فريداً في بيان اعجاز القرآن، جديرا بالاهتمام والدراسة، فحديثه في الاعجاز لايشبه حديث: فقد عاش في ظروف حالكة وليالي مظلمة بالنسبة الى الامة جمعاء، فقد عاصر سقوط الخلافة، ومجئ شرذمة عزمت على مسخ عقيدة الامة واخلاقها، وعزلها عن دينها وتراثها وإلحاقها بركب الحضارة الغربية الحديثة...

وهبَّ النورسي يعلن التحدي بالقرآن، فالمعركة في حقيقتها بالنسبة اليه معركة فكرية معرفية عقائدية حضارية.

لقد عاش رحمه الله - كغيره من العلماء العاملين، والاولياء الصالحين - مع القرآن لا يتركه ولا يفارقه، ولقد كان في جبهات القتال إبان الحرب العالمية الاولى يتحدى بالسلاح مرة وبالقرآن مرات ومرات، وكتبت مؤلفه القيم اشارات الاعجاز في خنادق القتال. ورغم ان حياته كانت مليئة بالاحداث، لكنني في هذه العجالة اودُّ ان ألُفت النظر الى جوانب وضاعة من حياته تؤكد سعة افقه، ونضح تفكيره، وعمق نظره، وحصافة رأيه:

- فقد دعا بل قام بجهود حثيثة لانشاء جامعة اسلامية «مدرسة الزهراء» تركز وتقوم على اساس عدم الفصل بين العلوم فيدرس القرآن الكريم والسنة النبوية الى جانب العلوم المعاصرة، وقد قال مخاطبا النواب مبينا اهمية تلك الجامعة: ان الولايات الشرقية هي مراكز اسلامية، ويجب تدريس العلوم المجردة الى جانب العلوم الدينية (١)، ولتكون المنبر الموجه لذلك الصراع الفكري الحضاري مع الغرب وفلسفته المادية، ولقد قال إثر تصريح وزير المستعمرات البريطانية بضرورة ازالة القرآن من الوجود: لأبرهنن للعالم بان القرآن شمس معنوية لا تنطفئ، ولا يمكن اطفاء نورها (٢). ولعل النورسي رحمه الله في دعوته تلك مدرك للفكرة التي ينادي بها المعهد العالمي للفكر الاسلامي، وهي فكرة اسلامية المعرفة، يشهد لهذا ادراكه ودراسته للرياضيات والفلك والكيمياء والفيزياء والفلسفة والجيولوجيا والتاريخ والجغرافيا، والعودة بها الى اصولها القرآنية. وتفسيره لآيات القرآن من خلال رسائل النور يؤكد هذه الحقيقة، حتى اضحى معلماً من معالم هذه الفكرة.

- كان يرى عدم دخول تركيا الحرب العالمية الاولى، ومع ذلك شكل كتائب من المتطوعين واطلق صرخات الجهاد في اجواء العالم الاسلامي... ودخل الحرب ضد روسيا، وابلى فيها بلاء حسناً دفاعاً عن امته ودينه، اجل فهو الرجل الامة! (٣).

- كان رحمه الله ابن عصره وابن بيئته، متيقظاً على الاحداث والاختار التي يحيكها الماكرون لهذا الدين واهله، واقفا بالمرصاد لكل حدث، ولقد سخر وقته وقلمه للذّب عن هذا الدين، والتحدّي به، وكتب رسائل النور التي نبتت من بيئة التحدي، فجاءت رداً مقنعا على فلسفة الغرب المادية ومدنيته المزيّفة: ذلك ان فهمه للقرآن ووصفه له مكّنه من الوقوف على اسراره وحقائقه، فالقرآن في نظره هو الترجمة الازلية لهذه الكائنات، والترجمان الابدي لالستها التاليات للآيات التكوينية، ومفسر كتاب العالم... وهو لسان الغيب في عالم الشهادة... وهو اساس وهندسة وشمس لهذا العالم المعنوي الاسلامي، وهو خريطة للعالم الاخروي.. وهو مربّ للعالم الاسلامي، وكالماء وكالضياء للانسانية الكبرى التي هي الاسلامية.. وكذا هو للانسان كما انه كتاب شريعة كذلك هو كتاب فكر، وكما انه كتاب واحد لكن فيه كتب كثيرة في مقابلة جميع حاجات الانسان المعنوية (٤). وهذا بالتأكيد فهم شمولي عميق لغايات القرآن واهدافه ومقاصده، وله اثر جلي في بيانه لاعجاز القرآن الكريم.

ويحدّد النورسي ست جهات للقرآن الكريم من شأنها ان توصل الى معرفة الله تعالى حق المعرفة، وهي: الجهة الاولى: وهي نقطة استناده، وهي الوحي. والجهة الثانية: وهي سعادة الدارين يستهدفها، فقد امتدت ارتباطاته وعلاقته بالابد والاخرة. والجهة الثالثة: وهي شارة الاعجاز الظاهر. والجهة الرابعة: وهي اعمدة البراهين الرصينة والدلائل الدامغة. والجهة الخامسة: وهي استشهاد الوجدان حتى ينطق من اعجابه «تبارك وتعالى» بما ينفخ من نفحات روحية للقلب. والجهة السادسة: وهي استنطاق العقول وتصديقها؛ لكثرة ما فيه «افلا يعقلون».

وثماره ثمار يانعة ذات حياة وحيوية، فلاغرو ان جذور شجرة القرآن متوغلة في الحقائق ممتدة في الحياة، وان حياة الثمرة تدل على حياة الشجرة، فانظر كم اعطى القرآن من ثمار الاصفياء والاولياء والصدّيقين والصالحين المتحلّين بكلمات الانسانية بعين اليقين (٥).

هذا المفهوم الشمولي للقرآن استقاه بديع الزمان من خلال التأمل والتدبر في آيات القرآن ، بل من خلال الحياة مع القرآن. وكذا استخراج لوجوه الاعجاز إنما كانت من خلال ذلك التدبر؛ مما يؤكد قيام منهج النورسي على النظر والتفكر مما يكسبه اصالة واستقلالية.

- ولاشك ان الثقافة الواسعة التي تميز بها النورسي، ودراسته لكثير من العلوم المعاصرة كان لها اثر كبير في فهمه للقرآن واعجازه وتفسيره.

وفيما يخص بيان منهجه في الاعجاز فقد تبعت حديثه الطويل المتكرر في اكثر من رسالة من رسائله المفارقة، ثم المجموعة في «الكلمات، واللمعات والمكتوبات والاشارات» وقارنت بينها، ورتبت كلامه في ذلك، ولما كان النورسي متأثراً بالجرجاني والزمخشري والسكاكي اثرت ان أبين اقوالهم وأقارنها بقوله، وأبين مازاد عليهم في ذلك: ولهذا عقدت مبحثاً للمقارنة بينه وبين الزمخشري في تفسير بعض الآيات؛ ليعلم ان النورسي رحمه الله عرف الاعجاز وتذوقه، ولم يقف عند حدود ما ذكره العلماء المتقدمون عليهم رحمة الله تعالى، وعرفت قبل ذلك بالمعجزة والاعجاز، وفصلت القول في اعجاز النظم، ثم بينت وجوه الاعجاز عند النورسي دون ان اتقيد بعدد وجوه الاعجاز التي اشار اليها في رسائله، وكنت اضع عناوين جديدة لتلك الوجوه تطابق تماماً مضمون الكلام تحتها، وكنت اختصر في نقل اقواله، او اعبر بالفكرة والمفهوم، وناقش بعض القضايا معه، وخلصت من هذا البحث الى نتائج عديدة جعلتها خاتمة لهذا البحث.

وجزى الله الاخ احسان الصالحي على ترجمته لجهود النورسي ورسائله، وجزى الله القائمين على المؤتمر خير الجزاء، والله ولي التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل.

* * *

معنى المعجزة والاعجاز لغة واصطلاحاً

ذكر الراغب في المفردات ان كلمة -عجز- مأخوذة من عجز الانسان، وهو مؤخره، وبه شبه مؤخر غيره قال: كأنهم أعجاز نخل منقعر (القمر: ٢٠). والعجز اصله التأخر عن الشيء وحصوله عند عجز الامر، اي: مؤخره كما ذكر في الدبر. وصار في التعارف اسماً للقصور عن فعل الشيء، وهو ضد القدرة، قال: أعجزت أن أكون (المائدة: ٣١). واعجزت فلانا وعاجزته جعلته عاجزاً. والعجوز سميت لعجزها في كثير من الامور (٦).

والمعجزة في الاصطلاح: امر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم عن المعارضة (٧). وهو دليل يجريه الله تعالى على يد مدعي النبوة تصديقاً له.

وتعريف النورسي لا يخرج عن هذا المعنى، وقد قال: المعجزة بحد ذاتها تصديق من رب العالمين لدعوى رسوله الكريم، اي: كأن المعجزة تقوم مقام قول الله: صدق عبدي فأطيعوه (٨). ويرى ان المعجزة تأتي لاثبات دعوى النبوة عن طريق إقناع المنكرين، وليس إرغامهم على الايمان (٩). وهذه اشارة لطيفة تدل على طبيعة المنهج الذي سلكه النورسي في بيانه للاسلام عامة والاعجاز خاصة، وقد اكتسبه من القرآن، وحذا حذوه في رسائله كلها.

طريق اثبات اعجاز القرآن

اشار النورسي الى ان اعجاز القرآن يعرف بثلاثة طرق كما حققها الجرجاني والزمخشري والسكاكي والجاحظ، وهي: طلوع القرآن على العرب ببلاغته العجيبة وعجزهم عن معارضته. والثاني شهود الوف الالوف من اهل العلم والتدقيق بأنه جامع لمزايا ولطائف وحقائق لاتجتمع في كلام بشر. وانه احدث تحولا في العالم الانساني عظيماً، واسس ديانة واسعة. والثالث - كما حققه الجاحظ - ترك الفصحاء والبلغاء معارضته مع شدة احتياجهم الى ابطال دعوى النبي (١٠).

وذكر النورسي هذه الطرق في اثبات اعجاز القرآن في مواطن عديدة من رسائله (١١) واطاف: ان استقطاب القرآن لاهتمام الالاف من العلماء الذين درسوا القرآن من كل ناحية لهو دليل قاطع على انه معجزة الهية (١٢).

ويصف اعجاز القرآن بقوله: إعلم ان اعجاز القرآن؛ حفظ القرآن من التحريف، فلا يتيسر لكلام مفسر او مؤلف او مترجم او

محرف وغيرهم، وان يلتبس بالآيات، او يلبس زيّها كما التبست واختلطت سائر الكتب المنزلة حتى صارت محرفة (١٣).

موقفه من الاعجاز بالصرفه

يرفض النورسي رحمه الله القول بأن إعجاز القرآن قد ثبت بالصرفه كما ذهب اليه بعض علماء المعتزلة والشيعة، ويرى ان المذهب الاصح في الصرفه هو ما عليه الجرجاني والزمخشري والسكاكي، وهو: ان قدرة البشر لاتصل الى درجة نظمه العالي (١٤). وبين النورسي حقيقة هذا القول الذي يذهب اصحابه الى انه لايمكن معارضة القرآن ولو بكلمة واحدة؛ لان الله قد صرفهم عنه. فقال: واما ان اعجاز القرآن كان بالصرفه فقول مرجوح. واختار النورسي مذهب اكثرية العلماء؛ وهو ان لطائف بلاغة القرآن، ومزايا معانيه هي فوق طاقة البشر؛ لان كلمات القرآن وجمله ينظر بعضها الى بعض، فتواجه الكلمات والجمل (١٥).

مراحل التحدي

ذكر النورسي مراحل التحدي في عدة مواطن من رسائله، فأوصلها مرة الى تسع مراحل، ومرة يقتصر على ثمان مراحل، وهي:

(١) ان يأتي بمثل هذا القرآن رجل امي مثل محمد ﷺ.

(٢) فان لم يكن فليأت به عالم عظيم وليس امياً.

(٣) فان لم يكن باستطاعة واحد ان يأتي به فأتوا بمثله مجتمعين.

(٤) فان لم يكن فاستعينوا بالكتب السابقة البليغة في المعارضة، بل ادعوا الاجيال المقبلة كذلك.

(٥) فان لم يكن فأتوا بعشر سور مثله.

(٦) وان لم يكن كلاما بليغاً فأتوا بها مفتريات.

(٧) فان لم يكن فأتوا بسورة واحدة، ولتكن قصيرة.

(٨) والا فان أديانكم وانفسكم مهددة بالخطر في الدنيا والآخرة (١٦). وزاد في موضع آخر فجعل المرحلة السابعة في

مرحلتين: التحدي بسورة طويلة، ثم التحدي بسورة قصيرة (١٧).

اما في اشارات الاعجاز فجعلها في تسع مراحل، لكن مع شئ من الاختلاف، وهو: انه ذكر في المرحلة الاولى ان التحدي بالقرآن كاملاً من حيث الحقائق والعلوم والاختبارات الغيبية مع نظمه العالي من رجل امي. وجعل المرحلة الثانية الاثني عشر بمثلها مفتريات. فالضمير هنا يرجع الى الحقائق بينما فيما تقدم يرجع الى العشر سور. ثم ذكر انهم ان عجزوا عن ان يأتيوا بسورة مطلقاً من شخص امي فليأت بها عالم حاذق. وجعل الاستعانة بكافة الانس والجن في مرحلة. واما في المرحلة التاسعة فقال: لاتقولوا ليس لنا شهداء، وانتم لاتشهدون لنا، ألا فادعوا شهداءكم فليشهدوا لكم هل يتجاسرون على تصديق دعوكم المعارضة (١٨).

ويظهر التداخل الكبير بين هذه المراحل، ولعل السر الذي دعا النورسي الى التفصيل في هذه المراحل هو تعميق فكرة اعجاز القران في نفوس الناس وخاصة المعاصرين، وبيان مدى عجز اولئك القوم الذين ناصبوا القرآن العداء عن معارضته فلجأوا الى المقارعة بالسيوف بدل رصف الحروف. اما بقية العلماء فاقصروا على المراحل الاربعة او الخمسة التي ذكرها القرآن (١٩).

وجوه اعجاز القرآن عند النورسي (*)

لم يقتصر النورسي في بيان وجوه اعجاز القرآن على قول واحد، بل اشار الى وجود وجوه لاتحصى لاعجاز القرآن، وان القرآن الكريم معجز لكل طبقة من الناس في كل عصر من العصور. واقتصر في بعض مؤلفاته كما يقول على وجه واحد وهو النظم ويذكر احيانا ان هناك سبعة من وجوه كلية، واحيانا عشرة وجوه باعتبار طبقات الناس، وان القرآن قد اظهر اعجازه لاصحاب المشارب المختلفة فقد رأى كل منهم من الاعجاز ما لم يره الآخر. (٢٠) ولاضير فالقرآن في نظر النورسي بحر المعجزات ومنبعها، والمعجزة الكبرى الذي يثبت النبوة الاحمدية والوحدانية الالهية اثباتاً (٢١).

يدخل النورسي الى بيان اعجاز القرآن من خلال الربط بين النبوة والقرآن، فيقول: مثلما ان القرآن بكل معجزاته وحقايقه هو معجزة لمحمد، فان محمداً عليه الصلاة والسلام بكل معجزاته ودلائل نبوته وكمالاته العلمية معجزة للقرآن الكريم، وحجة قاطعة على انه كلام رب العالمين (٢٢). ان القرآن اثبت النبوة بالاعجاز، والاعجاز بالتحدي، والتحدي بسكوتهم (٢٣). وسأذكر وجوه الاعجاز التي ظهرت لي من خلال رسائله العديدة في ذلك غير مقيد بما ذكره من تعداد لتلك الوجوه.

الوجه الاول: اعجاز نظم القرآن

مدخل الى اعجاز نظم القرآن عند النورسي:

ذكر النورسي مقدمة لبيان اعجاز نظم القرآن في اثنتي عشرة مسألة تتضمن مواصفات مهمة للكلام البليغ؛ وذلك لان النورسي يرى انه اعظم الوجوه في اعجاز القرآن، وسأذكرها ملخصة فمن طلب الاستزادة فليراجعها في مكانها (٢٤).

الاولى: ان نظم الكلام هو المجرى الطبيعي للافكار والحسيات، وهو منشأ نقوش البلاغة، وكما ان الكائنات انشأها خالقها فصيحة بليغة، فكل صورة منها معجزة من معجزات القدرة، فكذا الكلام اذا حذا حذو الواقع، وطابق نظمه نظامه حاز الجزالة بحذافيرها.

الثانية: ان السحر البياني مبني على الحقيقة في تصويراته وتشبيهاته البليغة.

الثالثة: جمال الكلام وكماله بأسلوبه، والاسلوب هو صورة الحقائق وقالب المعاني المتخذ من الاستعارة التمثيلية المؤسسة على سّر المناسبات بين الاشياء. وفائدة اسلوب التمثيل ايصال المعاني الدقيقة والعروق العميقة الى السامع. والحكمة في تنوعه؛ ايقاظ المعاني الساكنة في زوايا القلب.

الرابعة: الكلام البليغ تناسق قيود نظمه وهيأته، ويأخذ كل بيد الآخر ويظاهره.

الخامسة: كفيات نظم الكلام وهيأته ومستتبعاته تشير وترمز الى لوازم الغرض والمقصد وتوابعه وفروعه كما ان اصل الكلام يشير الى ذلك، وهو دليل غناء الكلام وثروته ووسعته.

السادسة: شأن البليغ ان يفيد بصريح الكلام مايتعلق به الغرض، واقتضاه المقام، وطلبه المخاطب. ثم يجعل في هذا المعنى المصوب في هذا القالب دلائل تشير الى طبقات اخرى من المعاني. وهناك معاني حرفية ليس لها ألفاظ مخصوصة كالتحسر والتأسف والاشتياق والتمدح والخطاب والاشارة والتألم والتحير والتعجب والتفاخر.

السابعة: الاسلوب اذا كان مبني على الخيال - التشبيه والتصوير - فلا بد من ان يرتكز على الحقيقة؛ لان فلسفة النحو من هذا القبيل.

الثامنة: الحروف التي تعدد معانيها مثل «الباء، من، الى» اصل المعنى فيها واحد لا يزول لكن باعتبار المقام والغرض قد يتشرب معنى معلقا، ويجذبه الى جوفه.

التاسعة: اعلى مراتب البلاغة محافظة المتكلم ومراعاته دفعة نسب قيود الكلمات وموازنة الجمل التي تظهر مع اخواتها نقشا متسلسلا الى النقش الاعظم، حتى كأن المتكلم استخدم عقولا الى عقله. وايضا من اسباب علو الكلام ان يتسلسل الى المقاصد التي تتدلى على المقام والغرض. وان يكون مستعدا لاستنباط كثير من الفروع والوجوه كقصة موسى.

العاشرة: سلاسة الكلام تقتضي ان تكون المعاني والحسيات ممتزجة تتحد او مختلفة تنتظم. فيجذب المركز القوة من

الاطراف ومن السلاسة ان يتعين المقصد ويتظاهر ملتقى الاعضاء.

الحادية عشرة: ان سلامة الكلام تقتضي ان ينتظم لدفع الاوهام وردّ الشبهات.

الثانية عشرة: الاساليب ثلاثة: الاسلوب المجرد، ومثاله كتب السيد الجرجاني. والاسلوب المزين ومثاله، دلائل الاعجاز واسرار البلاغة. والاسلوب العالي وخاصته الشدة والقوة والهيبة والعلوية ومقامه المناسب الالهيات والاصول والحكمة، كالقرآن اه.

هذا، وقد جرد النورسي - كما قال - رسالة اشارات الاعجاز للبحث في اعجاز نظم القرآن وكشف عن مراده منها فقال: ان مقصدنا من هذه الاشارات تفسير جملة من رموز نظم القرآن؛ لان الاعجاز يتجلى من نظمه وقال: وما الاعجاز الزاهر الا نقش النظم (٢٥).

وقبل ان نعرض مذهب النورسي في النظم ارى من الضروري عرض مذهب الامام عبدالقاهر الجرجاني في نظم القرآن؛ لانه هو الذي كان القرآن به معجزاً. ووافق النورسي، واثنى على نظريته ثناء حسناً. ونعرض كذلك لجهد الزمخشري في ذلك.

نظرية النظم عند الجرجاني

يقول عبدالقاهر رحمه الله: ليس النظم الا ان تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه واصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيع عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت فلا تخل بشئ منها؛ وذلك انا لانعلم شيئاً يتغيه الناظم بنظمه غير ان ينظر في وجه كل باب وفروقه، ثم يقول: هذا هو السبيل فلست بواجد شيئاً يرجع صوابه ان كان صواباً، وخطؤه ان كان خطأ الى النظم ويدخل تحت هذا الاسم الا وهو معنى من معاني النحو، وقد اصيب به موضعه ووضع في حقه، او عومل بخلاف هذه المعاملة فأزيل عن موضعه، استعمل في غير ما ينبغي له: فلا ترى كلاماً قد وصف بصحة نظم او فساده، او وصف بمزية وفضل فيه الا وانت تجد فيه مرجع تلك الصحة وذلك الفساد، وتلك المزية، وذلك الفضل الى معاني علم النحو واحكامه، ووجدته يدخل في اصل من اصوله، ويتصل بباب من ابوابه.. (٢٦).

والاستعارة والكناية والتمثيل وضروب المجاز عند الجرجاني من مفتضيات النظم؛ فعنها يحدث، وبها يكون فلا يتصور ان يدخل شئ منها في الكلام وهي افراد لم يتوخ فيما بينها حكم من احكام النحو (٢٧)، فنظم القرآن وتأليفه هو الذي صار به معجزاً (٢٨).

فعناصر الكلام عند الجرجاني ثلاثة: اللفظ والمعنى والنظم. ولا بد للنظم من عمليتين: اولاً: ترتيب المعاني في النفس. ثانياً: ترتيب الالفاظ في النطق (٢٩). وهي نظرية برز فيها جانبان جانب نفسي وجانب فكري فالجانب النفسي يظهر في عمق التأثير الذي يحس به القارئ وهو يتأمل ويتدبر الكلام البليغ، واما الجانب الفكري فتجده في العلاقة بين المعاني بعضها مع بعض من جهة، وبينها وبين الالفاظ لامن حيث الوضع فحسب، بل من حيث الوضع والترتيب كليهما (٣٠).

اما الزمخشري فيرجع الفضل اليه في بلورة هذه النظرية بتطبيقها في تفسير القرآن تطبيقاً عملياً تفصيلاً (٣١).

اما النورسي فيؤكد على دور النظم في الاعجاز، فيقول: منشأ نقوش البلاغة انما هو نظم المعاني دون نظم اللفظ، وتزيين اللفظ انما يكون زينة اذا اقتضته طبيعة المعاني. وذكر ان عبد القاهر ردّ على اللفظيين في كتابه. فنظم المعنى هو توحي المعاني النحوية فيما بين الكلمات، اي: اذابة المعاني الحرفية بين الكلم لتحصيل النقوش البلاغية الغربية (٣٢)، ومثل لذلك بقوله: ان وضع بؤبؤ العين في موضعه اللائق يتوقف على معرفة علاقة العين بالجسم كله، ومعرفة مدى علاقة وارتباط بؤبؤ العين بكل جزء من اجزاء الجسم وبوظيفته (٣٣).

ونودّ ان نبه انه لا ينبغي ان يفهم ان عبدالقاهر والنورسي ينكر ان فصاحة الالفاظ، لكن هذه الالفاظ لا ينظر اليها خارجة عن النظم.

ويتابع النورسي الجرجاني والزمخشري في التعويل على علمي البيان والمعاني لإظهار اسرار النظم في القرآن، فيقول: ان اساس اعجاز القرآن الكريم في بلاغة نظمه، وبلاغة النظم على قسمين؛ قسم كالحلية وقسم كالحلة، فالاول: تعهد بيانه علم المعاني، وهو توخي المعاني النحوية الحرفية فيما بين الكلم، كإذابة الذهب بين احجار فضة. والثاني: تعهد بيانه علم البيان، وهو كلباس عال وحلة فاخرة قدت من اسلوب على مقدار قامات المعاني، وخيطة من قطعات خيطا منتظما فيلبس على قامة المعنى او القصة او الغرض دفعة (٣٤).

ويؤكد على الجانب النفسي والجانب الفكري في النظم، فيقول: الكلام البليغ ما استفاد منه العقل والوجدان معا فكما يتداخل الى العقل يتقطر الى الوجدان، والمتكفل لهذين الوجهين التمثيل، حيث عدّه اسطع مرآة عاكسة لاعجاز القرآن (٣٥)، واسباسه التشبيه ومن شأن التشبيه تحريك حسّ النفرة او الرغبة او الميلان او التنفير او الكراهة او الحيرة او الهيبة؛ فقد يكون للتعظيم او التحقير او الترغيب او التفير او التشويه او التزيين او التلطيف الى آخره فبصورة الاسلوب يوقظ الوجدان، وينبه الحسّ بميل او نفرة (٣٦).

منبع البلاغة القرآنية

يرى النورسي رحمه الله ان البلاغة المعجزة للقرآن نبعث من جزالة نظمه وحسن متانته ومن بداعة اساليبه وغرابتها وجودتها، ومن براعة بيانه وتفوقه وصفوته، ومن قوة معانيه وصدقها، ومن فصاحة الفاظه وسلاستها (٣٧) ويفصل هذا الوجه لاعجاز القرآن بالامور الخمسة التالية، ولا بد ان اشير الى ان كل امر من هذه الامور وجه مستقل من وجوه اعجاز القرآن، وهي: (٣٨).

(١) الجزالة الخارقة في نظمه. ومثل لذلك بقوله: كما ان عقارب الساعة العادة للثواني والدقائق والساعات يكمل كل منها الآخر، فكذلك هيئات كل جملة من جمل القرآن، والنظام الذي في كلماته، والانتظام الذي في مناسبة الجمل كل تجاه الآخر. وقد اكد على ترابط اجزاء الكلام بعضه ببعض اثناء تفسيره لاول سورة البقرة، فالمناسبات عنده ثلاثة انواع: مناسبة الآية لما قبلها. والنظم بين جملها. ثم النظر بين هيئات جملة جملة (٣٩).

(٢) البلاغة الخارقة في معناه. ذلك ان القرآن قد اكسب معاني الكلام قوّة، اضافة الى رصانة بلاغتها، وسمو افادتها.

(٣) الفصاحة الخارقة في لفظه. فلفظه فصيح في غاية السلاسة، ودليل ذلك عدم ايرائه السأم والملل، وشهادة العلماء له. ومثل لذلك بأية آل عمران: ١٥٤ التي جمعت كل حروف الهجاء ومع ذلك ازدادت بهاء الى جمالها (٤٠).

ويؤكد النورسي على كون المفردة القرآنية مظهرا من مظاهر اعجاز القرآن، فيقول: اعلم انه ما من كلمة في التنزيل يأبى عنها مكانها، او لم يرض بها، او كان غيرها اولى بها. بل ما من كلمة من التنزيل الا وهي كدر مرصع مرصوص متماسك بروابط المناسبات، ولذلك يستحيل ترجمتها (٤١).

(٤) البراعة الفائقة في بيانه، فهو في اعلى مرتبة من مراتب طبقات الخطاب واقسام الكلام: كالترغيب والترهيب، والمدح والذم، والاثبات والارشاد، والافهام والافحام.

(٥) البداعة الخارقة في اسلوبه، ومثل لذلك بالحروف المقطعة، وانها شفرات ورموز الهيبة، وهي تنصف كل ازواج طبائع الحروف الهجائية. وذكر أنّ الم عدت اسلوبا بديعا وطرازا غريبا (٤٢).

ويرى النورسي ان منشأ الايجاز هو منشأ الاعجاز، وهو: ان البلاغة هي مطابقة مقتضى الحال. والحال: ان المخاطبين بالقرآن على طبقات متفاوتة، وفي اعصار مختلفة. فلمراعاة هذه الطبقات، ولمجاورة هذه الاعصار - ليستفيد مخاطب كل نوع ما قدر له من حصته - حذف القرآن في كثير للتعميم والتوزيع، واطلق في كثير للتشميل والتقسيم، وارسل النظم في كثير لتكثير الوجوه وتضمين الاحتمالات المستحسنة في نظر البلاغة والمقبولة عند العلم العربي: ليفيض على كل ذهن بمقدار ذوقه.

فتأمل (٤٣).

ويؤكد النورسي على ان اسلوب ارشاد القرآن البليغ وجه من وجوه اعجازه، فقد احتفظ بسلاسته الفطرية، وهو اجل من ان يدنو منه التكلف (٤٤).

التكرار في القرآن

عدّ النورسي رحمه الله التكرار في اسلوب القرآن - الذي حسبه الجاهلون مطعنا فيه - وجها اخر من وجوه اعجازه، وبين حكم التكرار، وهي:

- ١- ان القرآن كتاب ذكر ودعاء ودعوة فالذكر يكرر والدعاء يردّد والدعوة تؤكّد.
- ٢- ان كل سورة قرآن صغير فلهذا ادرج اكثر المقاصد القرآنية في اكثر سوره فسهل السبيل لكل احد دون ان يحرم احد؛ فكرر التوحيد والحشر وقصة موسى. ومقاصد القرآن عنده اربعة: التوحيد والنبوة والحشر والعدالة (٤٥).
- ٣- تكراره يناسب تجدد حاجات الانسان المعنوية.
- ٤- ان القرآن مؤسس لهذا الدين ولا بدّ للمؤسس من التكرير للتثبيت، ومن التريد للتأكيد، ومن التكرار للتقرير والتأييد.
- ٥- بحثه في المسائل العظيمة والحقائق الدقيقة يتطلب تكرارها لتتقرر في القلوب، وتثبت في افكار العامة. ويخلص النورسي رحمه الله الى انه لا تكرار حقيقي في القرآن: فلكل آية حد ومطلع، ولكل قصة وجوه واحكام وفوائد ومقاصد، فتذكر في موضع لوجه وفي اخر لاخرى، وعلى هذا لا تكرار الا في الصورة (٤٦).

هل القرآن على درجة واحدة من البلاغة

لقد اتفق العلماء على ان القرآن في الذروة العليا من البلاغة الا ان العز بن عبد السلام و ابا نصر القشيري ذهبا الى ان القرآن متفاوت في مراتب الفصاحة، وعلى عكس ذلك القاضي (٤٧).

ويرى الامام ابو سليمان الخطابي ان الاعجاز يكمن في الكلام البليغ وهو لا يخرج عن ثلاثة، وهي: البليغ الرصين الجزل. والفصيح القريب السهل. والجائز الطلق الرسل. وان القرآن تضمنها جميعا؛ لان المخاطبين ليسوا سواء، فهناك الحضري الذي هذب لسانه، وهناك البدوي الذي اكسبته البداوة قوة ورسانة (٤٨).

ولعل النورسي رحمه الله متأثر بهذا الكلام اذ ذهب الى ان الاسلوب المكي يختلف في الاعجاز عن الاسلوب المدني نظرا لاختلاف طبيعة المخاطبين والمعارضين. فالاسلوب المكي جاء عاليا قويا معجزا مقنعا، والاسلوب المدني جاء معجزا ببيانه السهل الواضح السلس (٤٩).

والنورسي رحمه الله ادرك التصوير الفني في القرآن وتذوق سحر جماله، وقرر ان السحر البياني اذا تجلى في الكلام صير الاعراض جواهر، والمعاني اجساما، والجمادات ذات ارواح والنباتات عقلاء فيوقع بينها محاوراة قد تنجر الى المخاصمة، وقد توصل الى المطاوعة فترقص الجمادات في نظر الخيال (٥٠).

القرآن الكريم والشعر

لقد اشتهب اسلوب القرآن على بعض الملاحدة خصوصا في عصر الباقلااني حيث كانوا يعدلون القرآن ببعض الاشعار مما دفع الباقلااني رحمه الله الى الانفراد بالقول: ان الوجه في اعجاز القرآن انه نظم خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلامهم، ومباين لاساليب خطابهم ليس من قبيل الشعر ولا السجع ولا الكلام الموزون غير المقفى ولهذا لم يمكن معارضته (٥٢)، بينما نجد النورسي يبين حكم تنزه القرآن عن الشعر، فيجملها في ثلاث نقاط:

الاولى: ان القرآن جامع لحقائق باهرة ساطعة لانهاية لها، لذا فهو مستغن عن خيالات الشعر.

الثانية: ان كل آية من آياته لاتتقيد بنظام الوزن فتصبح كأنها مركز لاكثر الايات وشقيقتها، اذ تمثل خيوط العلاقة بين الايات المترابطة في المعنى دائرة واسعة، فكأن كل آية حزة - غير مقيدة بنظام الوزن - تملك عيوننا باصرة الى اكثر الآيات، ووجودها متوجهة اليها.. فشاهد كمال الانتظام في عدم الانتظام !

وثالثها: ان شأن الشعر هو تجميل الحقائق الصغيرة الخامدة وتزيينها بالخيال البراق، وجعلها مقبولة تجلب الاعجاب، بينما حقائق القرآن من العظم والسمو والجازبية بحيث تبقى اعظم الخيالات واسطعها قاصرة دونها، وخافتة امامها (٥٣)، وهو اقوى من صنيع الباقلائي واحكم.

الفاصلة القرآنية

افرد النورسي رحمه الله مبحثا خاصا لبيان الوجه المعجز للفاصلة القرآنية، ويطلق عليها الخلاصات والفضلكات، وقرر انها اما تتضمن الاسماء الحسنى او معناها، واما انها تحيل قضاياها الى العقل وتحته على التفكير والتدبر فيها، واما انها تتضمن قواعد كلية من مقاصد القرآن فتؤيد بها الآية وتؤكدها(٥٤)، فهي مظهر معجز للقرآن الكريم ومن خلال استعراضه لفواصل القرآن خرج بالتناج الآتية(٥٥):

١- القرآن يبسط افعال الصانع الجليل ثم يستخرج من تلك الافعال والاثار الاسماء الالهية، او يثبت مقصدا من مقاصد القرآن الاساسية، مثاله: سورة البقرة ٢٩.

٢- وقد ينشر بدائع صنعه تعالى ثم يلفها ويطويها في الخلاصة ضمن الاسماء الالهية، او يحيلها الى العقل. مثاله: سورة يونس ٣١، ٣٢. وسورة البقرة ١٦٤.

٣- وقد يفصل القرآن في ذكر افعال الله ثم يوجزها في الخلاصة، فهو بتفصيلها يورث القناعة والاطمئنان، بايجازها يسهل حفظها وتقبيدها، مثاله سورة يوسف ٦. وسورة آل عمران ٢٧.

٤- وقد يذكر القرآن المخلوقات الالهية مرتبة بترتيب معين، ثم يبين به ان في المخلوقات نظاما وميزانا، يريان ثمرة المخلوقات وكأنه يضفي نوعا من الشفافية والسطوع على المخلوقات التي تظهر منها الاسماء الالهية المتجلية فيها، فكأن تلك المخلوقات المذكورة ألقاظ، وهذه الاسماء معانيها، وانها ثمرات وهذه الاسماء نواها او لبابها، مثاله: سورة المؤمنون ١٢-١٤. وسورة الاعراف ٥٤.

٥- وقد يذكر القرآن الجزئيات المادية المعرضة للتغير والتي تكون مناط مختلف الكيفيات والاحوال، ثم لاجل تحويلها الى حقائق ثابتة يقيدها ويجملها بالاسماء الالهية التي هي نورانية وكلية وثابتة، او يأتي بخلاصة تسوق العقل الى التفكير والاعتبار، مثاله: سورة البقرة ٣١-٣٢. وسورة النحل ٦٦-٦٩.

٦- وقد ينشر القرآن احكام الربوبية على الكثرة الواسعة المنتشرة ثم يضع عليها مظاهر الوحدة، ويجمعها في نقطة توحدتها كجهة وحدة بينها او يمكنها في قاعدة كلية. مثاله: وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم سورة البقرة ٢٥٥ وسورة ابراهيم ٣٢-٣٤.

٧- وقد يذكر القرآن الاية لتبين ان الاسباب وان بدت في الظاهر والوجود متصلة مع المسببات الا ان بينهما في الحقيقة وواقع الامر بونا شاسعا جدا، بحيث لا طاقة لاعظم الاسباب ان تنال ايجاد ادنى مسبب، وفي هذا البعد تشرق الاسماء الالهية، هذه المسافة بين الاسباب والمسببات لاتدرك الا بمنظار الايمان. مثاله: سورة عبس ٢٤-٣٢ وسورة النور ٤٣-٤٥.

٨- وقد يذكر القرآن افعال الله الدنيوية البديعة كي يهيئ الاذهان للتصديق، ويحضر القلوب للايمان بافعاله المعجزة في الاخرة، وقد يذكر العكس. مثاله آخر سورة يس. سورة التكويد وسورة الانشقاق.

٩- وقد يذكر القرآن بعضاً من المقاصد الجزئية ليحولها الى قواعد كلية، فيثبت ذلك المقصد الجزئي ويؤكد بالاسماء الحسنی. مثاله: الآية الاولى من سورة المجادلة والاسراء وفاطر.

١٠- وقد يذكر القرآن ما اقترفه الانسان من سيئات فتزجره زجراً عنيفاً ثم تختتمها ببعض من الاسماء الحسنی لثلاثيأس ويقنط، مثاله: سورة الاسراء ٤٢-٤٤.

وهذه وجوه بديعة لأثر الفاصلة القرآنية ودورها في بلاغة نظم القرآن، ولقد قارنت بين ماكتبه النورسي وبين ما كتبه د. احمد احمد بدوي في مبحث الفاصلة (٥٦). حيث اقتصر في معظم بحثه على بيان مناسبة كل فاصلة للآية التي ختمت بها، ودار في فلك ما كتبه السيوطي في الاتقان، بينما ينظر النورسي لها نظرة شمولية فيذكر مناسبتها لآيتها، ويدلل على آثارها الايمانية الفعالة على نفس وعقل ووجدان الانسان؛ وذلك من خلال التعريف بأسماء الله وصفاته، وبيان آثار الصنعة الالهية في الانفس والآفاق. وفيهما رد ساطع على جهالات دائرة المعارف البريطانية بهذا الشأن.

تذوق الاعجاز

يرى النورسي ان من اراد ان يتذوق اعجاز القرآن فليرجع الى ذلك العصر الجاهلي وفي صحراء البداوة بينا كل شئ اسدل عليه ستار الغفلة وغشيه ظلام الجهل ولف بغلاف الجمود والطبيعة اذا بك تشاهد وقد دبّت الحياة في تلك الموجودات فتنهض مسبحة ذاكرة لله بصدى قوله يسبح لله ما في السموات والارض (الجمعة: ١)، وهكذا بانتقالك الشعوري الى ذلك العصر تتذوق دقائق الاعجاز، اما الان فاذا نظرت اليها من خلال ستار الالفه فانك بلاشك لاترى رؤية حقيقية مدى جمال المعجز في كل آية (٥٧).

قلت: انه وإن تبدل الطبع، وغلبت الالفه فان القرآن يبقى فياضاً بجماله المعجز، وصنيع سيّد قطب رحمه الله في التصوير الفني يؤكد هذا الجمال المعجز. اجل، فان القلوب الصّداة لاينعكس عليها جمال القرآن حتى وان كان ذلك في العصر الجاهلي. وفيما يتعلق بتذوق جمال النظم في القرآن يتابع النورسي عبدالقاهر الجرجاني في ان ادراك هذا الوجه لايتسنى الا للشخص الذي ملك الذوق الادبي والاحساس الفني (٥٨). والنورسي على مذهب عبدالقاهر في إمكانية التعبير عن الاعجاز، قال رحمه الله: ان السكاكي اختار ان الاعجاز ذوقي لايعبر عنه ولايشرح، بل يذاق ذوقاً. واما صاحب دلائل الاعجاز فاختر انه يمكن التعبير عنه، ونحن على مذهبه في هذا البيان (٥٩).

واما بقية وجوه الاعجاز فهي كالشمس في رابعة النهار، لاينكرها الا الذين جعلوا اصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم واصروا واستكبروا استكباراً.

لماذا الاعجاز البلاغي

وسرّ اهتمام النورسي باعجاز نظم القرآن وبلاغته الخارقة ادراكه ان البلاغة والادب هي خاصية الانسانية، وان اعلى مايربي روح البشر، وألطف مايصفي وجدانه، واحسن مايزين فكره، وابسط ما يوسع قلبه، وانما هو نوع من الادبيات، ولامر ماترى هذا النوع ابسط الفنون واوسعها مجالاً، وانفذها تأثيراً، وأصقها بقلوب البشر حتى كأنه سلطانها (٦٠).

ويبين النورسي ان القرآن لايمكن ان يقاس بكلام اخر، فمنابع علو طبقة الكلام وقوته وحسنه وجماله اربعة: المتكلم «من قال». والمخاطب «لمن قال». والمقصد «لم قال». والمقام «فيم قال». وبانعام النظر في منابع القرآن تُدرك درجة بلاغته وحسنها وسموها وعلوها (٦١).

مقارنة بين الزمخشري والنورسي في بيان اعجاز نظم القرآن

يبدو لي ان المقارنة بين الزمخشري والنورسي في تطبيق نظرية النظم اولى من الاقتصار على ما ذكره النورسي من وجوه بديعة في نظم القرآن وادراكه العميق لاعجاز نظم القرآن، وشمولية تطبيقه هذه النظرية على النص القرآني. ولنأخذ الآيات الخمس الاولى من سورة البقرة لان المفسر يضع عصارة فكره في الاجزاء الاولى من التفسير، ولان النورسي لم يفسر ف الاشارات الا الفاتحة وثلاثا وثلاثين اية من سورة البقرة.

قوله تعالى:

الم * ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين * الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * والذين يؤمنون بما انزل إليك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون * اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون(البقرة: ١-٥).

قوله تعالى: الم * ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين

آثار الاثنان قضايا كثيرة من اسرار التعبير في النظم، لكنهما وان اتفقا في هذه القضايا الا انهما اختلفا في تحليلها واسلوب بيانها. فسر التعبير بـ«ذلك» التي للبعيد عند الزمخشري انها للدلالة على كلام تقضى فاشير اليه بذلك، ثم بين لم صحت الاشارة بـ«ذلك» الى ما ليس ببعيد، ولم ذكر اسم الاشارة والمشار اليه مؤنث، وهو السورة. ويرى النورسي انها تفيد التعظيم والاهمية، وتشير الى ان القرآن كالمغناطيس المنجذب اليه الاذهان، فتظاهر بدرجة تراه العيون من خلفها اذا راجعت الخيال. يرمز بلسان الحال الى وثوقه بصدقه، وتبريته عن الضعف والحيلة، وكما انها تفيد علو الرتبة المفيد لكمالها، كذلك تومئ الى دليله بأنه بعيد عن ما سلك عليه امثاله.

وبحث الزمخشري في وجه تأليف «ذلك الكتاب» مع «الم» وان ذلك الكتاب هو الكتاب الكامل كأن ما عداه في مقابلته ناقص، وانه الذي يستأهل ان يسمى كتابا.

وزاد النورسي بالكشف عن سر التعبير بـ«الكتاب» وذلك بان الكتاب لا يكون من مصنوع الالمّي، الذي ليس من اهل القراءة والكتابة.

وبينما يبحث الزمخشري في سر عدم تقديم الظرف في قوله: لاريب فيه كما في قوله لا فيها غول، نرى النورسي يعرض لنا سراً اخر، وهو التعبير بـ«في» دون سائر اخواتها، وسرّ الظرفية فيه فيقول: وذلك اشارة الى انفاذ النظر في الباطن، والى ان حقائقه تطرد وتطير الاوهام المتوضعة على سطحه بالنظر الظاهر.

وبين الزمخشري سرّ قوله: «هدى للمتقين» والمتقون مهتدون، ولم لم يقل هدى للضالين، وسرّ وضع المصدر موضع الوصف وإيراده منكرًا، والايجاز في ذكر المتقين. وسرّ ترك العطف بين الجمل، واكد النورسي على هذه الاسرار، وزاد في تفصيل بيانها.

قوله تعالى: الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون *

بين الزمخشري سرّ تعلق الآيات بما قبلها نحوياً، وتساءل عن هذه الصفة «الايان بالغيب» اورادة بيانا وكشفا للمتقين، ام مسرودة مع المتقين تفيد غير فائدتها، ام جاءت على سبيل المدح؟! بين احتمال كونها بيانا، واحتمال كونها صفة برأسها، واحتمال كونها مدحا للموصوفين، واكد النورسي على ذلك، وبين سرّ مناسبة الاية للتي قبلها فمن مدح للقرآن الى مدح المؤمنين فهو نتيجة له، ثم قال: اما وجه «الذين مع التقين» فتشيع التخلية بالتحلية التي هي رفيقتها ابدأ... والتحلية فعل الحسنات: اما بالقلب او القالب او المال، فشمس الاعمال القلبية الايمان. والفهرسة الجامعة للاعمال القلبية الصلاة التي هي عمال الدين، وقطب الاعمال المالية الزكاة اذ هي قنطرة الاسلام.

وزاد النورسي بين سرّ التعبير بـ«الذين يؤمنون» دون «مؤمنون»؛ وذلك لما فيه من التشويق على الايمان والتعظيم له. وفي الفعل تصوير واطهار تلك الحالة المستحسنة في نظر الخيال، وللإشارة الى تجدد واستمراره، وتجليه بترادف الدلائل الأفاقية والانفسية.

وزاد كذلك بيان سرّ التعبير بالمضارع في قوله: «ويقيمون الصلاة»؛ وذلك لاحضار تلك الحركة الحياتية، والانتباه الروحاني الالهي في العالم الاسلامي الى نظر السامع، ووضع تلك الوضعية المستحسنة والحالة المنتظمة من نواحي نوع البشر نصب عين الخيال؛ ليهيج المشاعر، ويوقظ ميلان السامع للتأسي.

واستثمر الزمخشري بيان اسناد الرزق الى نون العظمة في قوله تعالى: «ومما رزقناهم ينفقون» لصالح مذهبه الاعتزالي وبيّن سرّ التعبير بـ«من» التبعية، وتقديم مفعول الفعل، بينما نرى النورسي يفوقه في شمولية بيان اسرار النظم التي يستثمرها لصالح قضايا عصره، فيتحدى بالزكاة النظم الاقتصادية والاجتماعية في المدنية الحديثة، ويقول: ان من شروط الصدقة ان تقع موقعها اللائق، وذلك:

- ان لايسرف المتصدق فيقعد ملوما، وهذا افادته من التبعية.
- ان لا يأخذ من هذا ويعطي لذاك، بل من مال نفسه، وهذا استفاد من تقديم مما.
- ان لا يمتن فيستكثر، وهذا افادته اضافة الرزق الى نون العظمة، فالله هو المعطي.
- ان لا يخاف الفقر. وهذا استفاد من اضافة الرزق الى نون العظمة.
- ان لا يقتصر على المال، بل بالعلم والفكر والفعل ايضا، وهذا استفاد من الاطلاق في الفعل.
- ان لا يصرف الآخذ في السفاهة، بل في النفقة والحاجة الضرورية. وبمادة «ينفقون» الى شرط صرف الآخذ في النفقة والحاجة الضرورية.

قوله تعالى: والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم ينفقون *

تساءل الزمخشري عن هؤلاء اهم الاولون ام غيرهم؟ واجاب بالاحتمالين. وبيّن سر العطف بالواو ومعناه، وعلى فرض انهم غير الاولين فهل يدخلون في المتقين ام لا؟ واجاب بان ذلك يتبع العطف وبيّن سر التعبير بالماضي في قوله «انزل» مع انه لم ينزل كله وقت ذلك. وبيّن سرّ تقديم «الآخرة»، وبناء «يوقنون» على «هم».

وزاد النورسي بأن بيّن سرّ التعبير بـ«الذين»؛ للدلالة على ان وصف الايمان هو مناط الحكم. وبالمضارع «يؤمنون»؛ للدلالة على تجدد الايمان بتواتر النزول. وبـ«ما» الابهام؛ إيحاء الى ان الايمان مجملا قد يكفي، والى تشميل الايمان بنزوله من عند الله، وفي الماضي الى تحقق نزوله وبـ«إليك» بدل «عليك» للاشارة الى ان الرسالة وظيفه كلف بها النبي وتحملها بجزئه الاختياري..

وزاد كذلك بأن بيّن اسرار النظم في قوله: وما انزل من قبلك ففيه عطف المدلول على الدليل، وعلى معنى يا ايها الناس اذا امتتم بالقرآن فآمنوا بالكتب السابقة، وعطف الدليل على المدلول، على معنى يا اهل الكتاب اذا امتتم بالانبياء السابقين فآمنوا بمحمد ﷺ وفيه اشارة الى ان مآل القرآن - الاسلامية الناشئة زمن السعادة - كشجرة اصلها ثابت في اعماق الماضي، ومنتشرة العروق، متشوبة عن منابع حياتها وقوتها، وفروعها في سماء الاستقبال ناشرة اغصانها مثمرة، اي: اخذت الاسلامية بقرني الماضي والاستقبال وفيه تشويق لاهل الكتاب الى الايمان، وتأنيسهم والتسهيل عليهم.

وأكد على ما ذكره الزمخشري في قوله تعالى «وبالآخرة هم يوقنون» من اسرار، وزاد عليها بيان العطف والتعريف، وسر التعبير بـ«الآخرة»، وسرّ ذكر «يوقنون» بدل «يؤمنون».

قوله تعالى: اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون

بين الزمخشري وجوه موقعها من الاعراب وبين سرّ التعبير بـ«اولئك»، ومعنى الاستعلاء في قوله «على هدى» وتنكير هدى وتكرير «اولئك» ولم جاء مع العاطف «واولئك هم المفلحون». وضمير الفصل «هم» والتعريف في «المفلحون».

اما النورسي فقد أكد عليها، وزاد بيان وجه اتصال الآية بما تقدمها، وسرّ قوله: «من ربهم» التي يشير بها الى ان الخلق والتوفيق في اهتدائهم من الله، والى ان الهداية من شأن الربوبية، فكما يرببهم بالرزق يغذيهم بالهداية وسر الاطلاق في قوله

«المفلحون» لما ان المخاطبين على طبقات كل يتبغي وجها من الفلاح(٦٢).

وهكذا يتبين لنا عمق ادراك النورسي لنظم القرآن، واستقلالته في تذوقه وبيانه الشمولي له. ويتبين لن كيف كان النورسي - اثناء بيانه لاسرار النظم - مشغولا باستثمار هذه الاسرار وتوظيفها لصالح الاسلامية التي تجابه اللادينية المادية التي تجابه اللادينية المادية في عصر التحدي عاشره. اما نظرة الزمخشري فكانت ضيقة حيث كان يوظف هذه الاسرار لصالح مذهبه الاعتزالي، وكان النورسي - لاجل ان يكون كلامه مفهوما - يلجأ الى سهولة التعبير ووضوحه. وكان كذلك يعمد الى ربط الجملة بالجملة في الآية الواحدة ليظهر كمال تناسبها وروعة تناسقها فيما بينها ومع ما قبلها من آيات فانه سرّ النظم. واؤكد هنا على ما قاله د. محسن عبدالحميد في تقديمه لكتاب الاشارات للنورسي، ظهر له ان المفسرين السابقين لم يحاولوا تطبيق نظرية النظم من حيث هي منظومة متكاملة تشمل ترتيب السور والايات والالفاظ سورة بعد سورة واية بعد آية ولفظاً بعد لفظ. بتفصيلها الكاملة تشمل ترتيب السور والآيات والالفاظ سورة بعد سورة، وآية بعد اية ولفظاً بعد لفظ. بتفصيلها الكاملة فاراد ان... يؤلف تفسيراً يطبق فيه نظرية النظم تطبيقاً شاملاً (٦٣). رحم الله الزمخشري والنورسي وعلماء المسلمين جميعاً.

الوجه الثاني: جامعية القرآن الخارقة

وتمثلت هذه الجامعية في خمسة امور، وهي(٦٤):

(١) الجامعية الخارقة في لفظه. فقد وضعت الالفاظ القرآنية وضعا بحيث تتضمن وجوها كثيرة ليس في كل كلمة بل في كل حرف كذلك. ومثل لذلك بقوله تعالى: «والجبال اوتادا» النبأ: ٧. فلكل من العامي، والشاعر، والبدوي البليغ، والجغرافي الاديب، والمتخصص في امور المجتمع والملم بمتطلبات الحضارة الحديثة، والفيلسوف الطبيعي تصيب من هذا اللفظ. والنورسي رحمه الله متيقظ لما يترتب على هذا الوجه من السعة والشمول فيضع شروطا لكل قول ووجه في فهم الآية: حتى لا تكون مدخلا لاصحاب الاهواء ومدعاة لهم الى ابداء اي قول. وهي: ان تلك الوجوه لا بد ان تستحسنها البلاغة، ويستصوبها علم اللغة العربية، وتليق بسر التشريع (٦٥).

(٢) الجامعية الخارقة في معناه، فقد افاض القرآن من خزينته معانيه مصادر جميع المجتهدين.

(٣) الجامعية الخارقة في علمه، فقد اجرى القرآن من بحر علمه اضافة لعلوم الشريعة الحكمة الحقيقية لدائرة الممكنات، والعلوم الحقيقية لدائرة الوجوب، والمعارف الغامضة لدائرة الآخرة.

(٤) الجامعية الخارقة في مباحثه، فقد جمع القرآن المباحث الكلية لما يخص الانسان ووظيفته، والكون وخالقه، والارض والسموات، والدنيا والآخرة، والماضي والمستقبل، والازل والابد، فضلا عن مباحث مهمة اساسية ابتداء من خلق الانسان من نطفة الى دخوله القبر، ومن آداب الاكل والنوم الى مباحث القضاء والقدر...

(٥) الجامعية الخارقة في اسلوبه وايجازته، وهذه الجامعية تتضمن خمسة امور ايضا، هي:

(أ) ان لاسلوب القرآن جامعية خارقة بحيث ان سورة واحدة تتضمن بحر القرآن، وان آية واحدة تضم خزينته تلك السورة، وان اكثر الآيات كل منها كسورة قصيرة، وان كل سورة في حكم قرآن صغير.

(ب) ان الآيات القرآنية جامعة بدلالاتها واشاراتها لانواع الكلام والمعارف الحقيقية، والحاجات البشرية كالامر والنهي، والوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، والزجر والارشاد، والقصص والامثال، والاحكام والمعارف الالهية، والعلوم الكونية، وقوانين وشرائط الحياة الشخصية والحياة الاجتماعية، والحياة القلبية، والحياة المعنوية والحياة الاخروية.. بمعنى ان آيات القرآن فيها من الجامعية ما يمكن ان يكون دواء لكل داء، وغذاء لكل حاجة.

(ج) الايجاز المعجز للقرآن. فقد يذكر القرآن مبدأ سلسلة طويلة ومنهاها ذكرا لطيفا يرى السلسلة بكاملها، وقد يدرج في كلمة

واحدة براهين كثيرة لدعوى؛ صراحة وإشارة ورمزا وإيماء.

د) ايجاز القرآن جامع ومعجز، فلو انعم النظر فيه لشوهد بوضوح ان القرآن قد بيّن في مثال جزئي وفي حادثة خاصة دساتير كلية واسعة، وقوانين عامة طويلة، وكأنه يبين في غرفة ماء بحراً واسعاً؛ فتعليم الاسماء لأدم يفيد تعليم جميع العلوم والفنون الملهمة لبني آدم.

هـ) الجامعية الخارقة لمقاصد القرآن ومسائله ومعانيه واساليبه ولطائفه ومحاسنه. حقا ان جيمع هذه الاجناس المختلفة الكثيرة في موضع واحد من دون ان ينشأ منه اختلال نظام او اختلاط وتشوش. إنما هو شأن نظام اعجاز قهار ليس الا. وهذا الوجه بهذا البيان الرائع البديع لم اره لغير بديع الزمان رحمه الله تعالى.

الوجه الثالث: الاعجاز المعرفي والحضاري

لقد تنبأ النورسي رحمه الله بتقهقر البشرية واضطرابها، واكد على ان هدى القرآن سيكون بلا ريب عاليا في هذا التقهقر والاضطراب؛ لان القرآن الكريم قد حافظ على شبائته وفتوته حتى كأنه ينزل في كل عصر خاصاً الى اهل ذلك العصر؛ لانه الخطاب الازلي الى جميع طبقات البشر (٦٦).

فنداء القرآن المتكرر - على سبيل المثال - يا اهل الكتاب يفهم منه في هذا العصر ان المستكبرين من الناس واهل الكتاب منهم خاصة احوج ما يكونون الى ارشاد القران، فكأن المقصود بـ«اهل الكتاب» اهل الثقافة والمدنية الحديثة. فكيف كان القرآن معجزاً لهم؟ فلأجل ذلك المعارض الجديد الرهيب نضع الاسس والدساتير التي اتت بها المدنية الحديثة امام اسس القرآن الكريم (٦٧).

وبين النورسي ان عجز المدنية الحديثة امام القران وارده من ثلاث جهات:

الجهة الاولى: وتتضمن عقد الموازنات بين ما جاء به القرآن الكريم من متطلبات الدنيا والاخرة لاسعاد الانسان وبين ما هو في الحضارة الحديثة التي تثبت عجزها. فكثير من القضايا التي يقف المسلم منها على بيّنة ونور نرى المدنية الحديثة قد ضلّت فيها ضلالاً بعيداً، مثل «بسم الله» التي يتحدد بها اتجاه المسلم في كل حركة وسكنة. والايمان، ونظرة المؤمن الى الدنيا. والوحدانية. والعبادة وخصوصا الصلاة. ووظيفة الانسان الحقّة، وقضية بيع النفس والمال الى الله. والايمان بالله واليوم الآخر اللذان يحلان لغز الكون، وحقيقة الدنيا ودور الانسان فيها، ومبدأ الحشر والاخرة واثرها، واسرار حكمة العالم ولغز خلق الانسان والكون. وتأديب النفس، واثبات الرسالة الاحمدية. والقضاء والقدر.. كل هذه القضايا ضلت فيها الثقافة الحديثة، وثبت بها اعجاز القرآن.

الجهة الثانية: وتتضمن مقارنات بين دستور القرآن في نظره للكون والحياة، ودستوره في التربية الاخلاقية (٦٨)، ودستوره في الحياة الاجتماعية من حيث ركيزتها وهدفها ودستورها ورابطتها وغايتها ونتيجتها في نظر القرآن، وفي نظر المدنية الحديثة ليرى كيف غلبها القرآن وتفوق عليها. ولنوضح تلك المقارنة التي ذكرها النورسي في الحياة الاجتماعية فحسب من خلال الشكل الآتي (٦٩): «الشكل في الصفحة ١٧»

الجهة الثالثة: اكدت هذه الجهة على ان دساتير القرآن وقوانينه لانها آتية من الازل فهي باقية الى الابد، لاتهرم كما تهرم القوانين المدنية، فالزواج او تعدد الزوجات قابلته المدنية الحديثة بفتح اماكن العهر والفحش، وفي الاقتصاد وفي الميراث وغيره تبقى قوانين القرآن خالدة ثابتة. فمثلاً ان المدنية الحديثة بكل جمعياتها الخيرية عجزت، فلم تستطع بكل انظمتها الصارمة ومؤسساتها التربوية والاخلاقية - معارضة مسألتين من القرآن، وهما: مسألة الزكاة، ومسألة الربا. وذكر ان اس اساس جميع الاضطرابات والثورات في المجتمع الانساني انما هو كلمة واحدة هي: ان شبعنا، فلا عليّ ان يموت غيري، كما ان منبع جميع الاخلاق الرذيلة كلمة واحدة ايضاً، وهي: اكتسب انت، لأكل انا، واتعب انت لاستريح انا. فقد عجزت المدنية

الحديث ان تصلح بين تينك الطبقتين: الخواص والعوام، بينما اقتلع القرآن الكلمتين من جذورهما (٧٠).
والخلاصة ان فلسفة اوروبا ومدنيتها الحديثة قد غلبت امام اعجاز حكمة القرآن العلمي والعملي، كذلك هزمت آداب تلك
المدنية وبلاغتها امام ادب القرآن وبلاغته (٧١).

ان القرآن الكريم لا يقبل الا طرازا من المدنية التي تمنح السعادة للجميع، بينما المدنية الحديثة قد محت راحة البشرية وهوت
بها في مكان سحيق (٧٢). ولذلك حذر النورسي ابناء بلاده من تقليد اوروبا التي شوهدت الحقائق، وكادت لابناء هذا الدين،
وقال: يا اوروبا! اعلمي جيدا انك اخذت بيمينك الفلسفة المضلّة السقيمة، وبشمالك المدنية المضرة السفيهة، ثم تدعين ان
سعادة الانسان بهما، ألا سُلت يداك، وبُست الهدية هديتك، ولتكن وبالا عليك، وستكون (٧٣).

وذكر النورسي رحمه الله ان القرآن الكريم ذكر حوادث جزئية كتعليم آدم الاسماء كلها، وذبح البقرة في قصة موسى، ووصف
قلوب بني اسرائيل بأنها كالحجارة او اشدّ قسوة، وهو يهدف من ورائها الى وضع قوانين شمولية للحياة، فقال: ان الحوادث
الجزئية المذكورة في القرآن على صور حوادث تاريخية انما هي طرف وجزء من دساتير كلية شاملة ينبنى عنها، وهي دورس
ضرورية في الحكمة يحتاجها كل احد في كل وقت (٧٤).

ويبين سرّ ورودها بهذا الاسلوب فقال: «ان الايجاز المعجز هو اساس مهم من اساس الاعجاز وكذا لطف الارشاد وحسن
الافهام الذي هو نور من هدى القرآن، يقتضيان ان تبين الحقائق الكلية والدساتير الغامضة العامة في صور جزئية مألوفة للعوام
الذين يمثلون معظم مخاطبي القرآن، وان لا تبين لاؤلئك البسطاء في تفكيرهم الا طرفا من تلك الحقائق المعظمة، وصورا
بسيطة منها (٧٥).

الوجه الرابع: النورسي وفكرة اسلامية المعرفة

يبدو ان نظرة النورسي الشمولية الى القرآن الكريم، ومعايشته لواقع التحدي الذي شهدته الامة مكنته من الاعتقاد العلمي
والعملي اليقيني ان القرآن هو المرجعية الاساسية في مختلف العلوم، وان هذه العلوم جميعا تصدر من مشكاة القرآن، وان
القرآن هو المصدر الحقيقي لها، وغاية الامر ان في افكار النورسي تربة خصبة لدعوة «اسلامية المعرفة» التي ينادي بها المعهد
العالمي للفكر الاسلامي بفروعه المنتشرة في ارجاء المعمورة، فقله بنجامية القرآن الخارقة في مباحثه، وبالجامعية الخارقة
لمقاصده ومسائله ومعانيه واساليبه ولطائفه ومحاسنه... كل اولئك تربة خصبة يمكن لهذه الفكرة، فكرة اسلامية المعرفة ان
تنمو فيها نموا نشطا، ومن الافكار الاخرى في ذلك:

بيان النورسي ان كل معجزة من معجزات الانبياء تشير الى خارقة من خوارق الصناعات البشرية، اما معجزة آدم عليه السلام
فهي تشير الى فهرس خوارق العلوم والفنون والكمالات، وتشوق اليها جميعا مع اشارتها الى اساس الصنعة اشارة مجملة
مختصرة، واما المعجزة الكبرى للرسول الاعظم ﷺ ذات البيان المعجز فلان حقيقة تعليم الاسماء تتجلى فيه بوضوح تام،
وبتفصيل أتم: فانه يبين الاهداف الصائبة للعلوم الحققة وللنون الحقيقية ويظهر بوضوح كمالات الدنيا والآخرة وسعادتتهما،
فيسوق البشر لها، ويوجهه نحوها، مثيرا فيه رغبة شديدة فيها، حتى انه يبين بأسلوب التشويق ان: ايها الانسان! المقصد
الاسمي من خلق هذا الكون هو قيامك انت بعبودية كلية تجاه تظاهر الربوبية، وان الغاية القصوى من خلقك انت هي بلوغ
تلك العبودية بالعلوم والكمالات، والنتيجة: مادامت الآيات التي تخص معجزات الانبياء عليهم السلام لها نوع خاص من
الاشارة الى خوارق التقدم العلمي والصناعي الحاضر، ولها طراز من التعبير كأنه يخط ابعد الحدود النهائية لها، وحيث انه
ثابت قطعاً ان لكل آية دلالات على معان شتى، بل هذا متفق عليه لدى العلماء.. ولما كان هناك اوامر مطلقة لاتباع الانبياء
عليهم السلام والاقتداء بهم، لذا يصح ان نقول: انه مع دلالات الآيات المذكورة على معانيها الصريحة هناك دلالات مشوّقة
باسلوب الاشارة الى اهم العلوم البشرية وصناعاتها (٧٦).

ونجده مثلا يذكر ان قوله تعالى: وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم (الحجر: ٢١) يشير الى ان الحكمة

العامة المهيمنة على الكون والتي هي تجل اعظم لاسم «الحكيم» انما تدور حول محور الاقتصاد، وعدم الاسراف، بل تأمر بالاقتصاد، ويستنبط من ورود ذكر «الميزان» في سورة الرحمن اربع مرات - ان العدالة والاقتصاد والطهر التي هي من حقائق القرآن ودساتير الاسلام ما اشدها ايغالا في اعماق الحياة الاجتماعية، وما اشدها عرافة واصالة، وادرك من هذا مدى قوة ارتباط احكام القرآن بالكون، وكيف انها مدّت جذورا عميقة في اغوار الكون فأحاطته بعري وثيقة لانفصام لها(٧٧).

وفي تفسيره لقوله تعالى: وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس(الحديد: ٢٥)، قال: لا يريد القرآن ان يبين استخراج الحديد تدريجيا من هذا المخزن الصغير - الارض - بل يريد ان يبين ان تلك النعمة العظمى قد انزلت من الخزانة الكبرى للكون مع كرة الارض، وذلك لظهار ان الحديد اكثر ضرورة لخزينة الارض، بحيث ان الخالق الجليل عندما فصل الارض من الشمس انزل معها الحديد ليحقق اكثر حاجات البشر ويضمنها. فالقرآن الكريم يقول باعجاز: أنجزوا بهذا الحديد ليحقق اكثر حاجات البشر ويضمنها، فالقرآن الكريم يقول باعجاز: انجزوا بهذا الحديد اعمالكم ، واسعوا للاستفادة منه باخراجه من باطن الارض (٧٨).

ويقول: انه تعالى بتعليم آدم الاسماء كلها يفيد تعليم جميع العلوم والفنون الملهمة لبني ادم، فمثلا علم الهندسة يرتكز على اسم الله تعالى «العدل، المقدر. وعلم الطب يرتكز على اسمه تعالى «الشافى» والعلوم التي تبحث في حقيقة الموجودات كالفيزياء والكيمياء والنبات والحيوان، هذه العلوم التي هي حكمة الاشياء ترتكز على اسمه تعالى «الحكيم»(٧٩).
ويقرر في اكثر من موضع من رسائله ان الايات القرآنية جامعة بدلالاتها وإشاراتنها لانواع العلوم والمعارف الحقيقية والحاجات البشرية.. وجميع خلاصات العلوم الكونية، وقوانين وشرائط الحياة والاجتماعية والتربوية والشخصية والحياة القلبية والمعنوية والاخروية. بل ان الكلمات القرآنية لها هذه الصفة، واكد على هذا المعنى عند تفسيره لقوله تعالى: قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفذ كلمات ربي (الكهف: ١٠٩) وعنى بكلمات ربي القرآن، فهو حي يتدفق بالحياة(٨٠).

وتشمل فكرة الاسلام عند النورسي رحمه الله المفاهيم كذلك؛ لانه ينظر الى كل ما حوله بمفهوم القرآن الكريم ليرد من خلاله تشويه الفلسفة الغربية لهذه المفاهيم، تلك الفلسفة التي ظاهرها مزخرف وباطنها جهالة فارغة بينما يقول الفيلسوف الثرثار: ان الشمس كتلة عظيمة من المائع الناري تدور حول نفسها في مستقرها، تطايرت منها شرارات وهي ارضنا، وسيارات اخرى.. يرى النورسي ان الشمس مأمور مسخر، وسراج منور، ففي تعبير السراج في قوله تعالى وجعل الشمس سراجاً تنبيه الى رحمة الخالق في عظمة ربوبيته، وإفهام إحسانه في سعة رحمته، واحساس كرمه في عظمة سلطنته. كما ان هذه المخلوقات لا يبحث فيها لذاتها بل ولا عن ماهيتها، بل يبحث فيها بوصفها علامة على معرفة الصانع. ان هذه المفاهيم لابد ان تفيد الكمال العلمي والذوق الروحي والغاية الانسانية والفوائد الدينية(٨١).

وهكذا نجد ان النورسي يؤكد على هذا الوجه من اعجاز القرآن فالديانة والشريعة الاسلامية المؤسسة على البرهان العقلي ملخصة من علوم وفنون تضمنت العقد الحياتية في جميع العلوم الاساسية: من فن تهذيب الروح، وعلم رياضة القلب وعلم تربية الوجدان، وفن تدبير الجسد ، وعلم تدبير المنزل، وفن سياسة المدنية، وعلم نظمات العالم، وفن الحقوق، وعلم المعاملات، وفن الآداب الاجتماعية.. فمن زين وجدانه بالانصاف يصدق بان حقيقة هذه الشريعة خارجة عن طاقة البشر دائماً لاسيما في ذلك الزمان (٨٢).

فالقرآن لا يفهم الا على ضوء كتاب الكون، وكتاب الكون لا يفهم الا على اسس القرآن، والنورسي رحمه الله يؤكد على هذه الحقيقية، او هذا الاساس في فهم القرآن فيقول: ان القرآن المقروء هو اعظم تفسير واسماه، وابلغ ترجمان واعلاه لهذا الكون البديع، الذي هو قرآن آخر عظيم منظور (٨٣).

الوجه الخامس: الوحدة البنائية للقرآن

يفهم من كلام النورسي في هذا الوجه ان القرآن الكريم وحدة واحدة، نزل ليصدق بعضه بعضا، ويفسر بعضه بعضا، وليس فيه موطن شبهة او اختلاف؛ فقد نزل منجما في ثلاث وعشرين سنة ومع ذلك فانه يظهر من التلاؤم الكامل كأنه نزل دفعة واحدة، ونزل منجما في تلك المدّة لاسباب نزول مختلفة، ومع ذلك فانه يظهر من التساند التام كأنه نزل لسبب واحد، وجاء جوابا لاسئلة مكررة متفاوتة ومع ذلك فانه يظهر من الامتزاج التام والاتحاد الكامل كأنه جواب عن سؤال واحد. وجاء مبينا لاحكام حوادث متعددة متغايرة ومع ذلك فانه يظهر من الانتظام الكامل كأنه بيان لحادثة واحدة. ونزل متضمنا لتنزيلات كلامية الهية في اساليب تناسب افهام مخاطبين لا يحصرون، ومن حالات من التلقي متخالفة متنوعة، مع انه يبين من السلاسة اللطيفة والتماثل الجميل كأن الحال واحدة والفهم واحد. وجاء مكلما متوجها الى اصناف متعددة متباعدة من المخاطبين، مع انه يظهر من سهولة البيان وجزالة النظام ووضوح الافهام كأن المخاطبين صنف واحد بحيث يظن كل صنف انه المخاطب وحده بالاصالة. ونزل هاديا وموصلا الى غايات إرشادية متدرجة متفاوتة مع انه يبين من الاستقامة والموازنة الدقيقة والانتظام الجميل كأن المقصد واحد (٨٤).

وهذا وجه بديع من وجوه اعجاز القرآن لم اره لغير بديع الزمان رحمه الله، فالقرآن كلام واحد منتظم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فلا ينبغي ان يتنازع فيه، وهذا من الاسس المهمة في التعامل مع الكتاب العزيز. الوجه السادس: اقامته لمنهجية التوازن

عقد النورسي مبحثا مستقلا للدلالة على هذا الوجه، ويقصد به ان القرآن قد حافظ على التوازن في بيانه التوحيد بجميع اقسامه مع جميع مراتب تلك الاقسام وجميع لوازمه، ولم يخل باتزان اي كان منها، ثم انه قد حافظ على الموازنة الموجودة بين الحقائق الالهية السامية كلها، وجمع الاحكام التي تقتضيها الاسماء الحسنی جميعها مع الحفاظ على التناسب والتناسق بين تلك الاحكام، ثم انه قد جمع بموازنة كاملة شؤون الربوبية والالوهية، فهذه المحافظة والموازنة والجمع لامثيل لها من آثار البشر (٨٥).

فالقرآن يرى جميع الدساتير التي تحقق سعادة الدارين ويبيّنهما مع بيانه كل ركن من اركان الايمان الستة بالتفصيل، وكل ركن من اركان الاسلام الخمسة بقصد وجدّ محافظا على الموازنة فيما بينها جميعا مديما تناسبها، فينشأ من منبع الجمال والحسن البديع الحاصل من تناسب مجموع تلك الحقائق وتوازنها اعجاز معنوي رائع للقرآن، ومن هنا ندرك ان علماء الكلام الذين رجحوا العقل على النقل عجزوا عن ان يوضحوا ما تفيد عشر آيات من القرآن الكريم وتثبت إثباتا قاطعا بما يورث القناعة والاطمئنان (٨٦).

ويرى ان حقائق الشريعة مع تلك المصادمات العظيمة والانقلابات العجيبة والعصور المديدة حافظت على موازنة قوانين الفطرة وروابط الاجتماعيات اللاتي بدقتها لا تتراءى للعقول مع كمال المناسبة والمصافاة معها، فكلما امتد الزمان تظاهر الاتصال بينها، ويتظاهر من هذه الحالة ان الاسلامية هي الدين الفطري لنوع البشر، وانها حق (٨٧).

ان كمال انتظام الشريعة العظمى النابعة من نصوص القرآن ومن اشاراته ورموزه، وجمال توازنها الدقيق وحسن تناسب احكامها ورسالتها - شاهد عدل على أحقية القرآن؛ لان البيانات القرآنية لا يمكن ان تستند الى علم جزئي لبشر (٨٨). ولا ادري بعد هذا البيان البديع لم جعل الزرقاني رحمه الله هذا الوجه من الوجوه المعلولة في اعجاز القرآن (٨٩).

الوجه السابع: حاكمية القرآن وهيمته

ذكر النورسي ان القرآن قد بسط احد جناحيه نحو الماضي والاخر نحو المستقبل، فالحقيقة التي اتفق عليها الانبياء السابقون هي جذر القرآن وأحد جناحيه، فهو يصدقهم ويؤيدهم، وهم بدوره يؤيدونه ويصدقونه بلسان حال التوافق، وكذلك فان الاولياء الصالحين والعلماء الاصفياء هم ثمار استمدت الحياة من شجرة القرآن الكريم، فتكاملهم الحيوي يدل على ان

شجرتهم المباركة هي ذات حياء وعطاء، وذات فيض دائم، وذات حقيقة واصالة (٩٠). ان القرآن معدّل ومكمل في الاصول، وجامع محاسن الكتب السابقة واصول الشرائع السالفة (٩١). فبسط جناحيه على الماضي والمستقبل دليل هيمنته، وتعديله وإكمال لما جاء في الكتب السابقة دليل حاكميته وهيمنته، وتلمذ الجَمّ الغفير من العلماء الاولياء دليل هيمنته. كذلك واولى ما تكون هذه الهيمنة والحكمية في الجانب العلمي والمعرفي، علاوة على كونها في الجانب الحياتي.

الوجه الثامن: إخباراته الغيبية

الاخبارات الغيبية التي تضمنها القرآن ثلاثة انواع (وليست اربعة كما ذكر في المكتوبات ١٤٣): غيب الماضي، فقد ذكر اخبارا من لدن آدم الى خير القرون، وغيب المستقبل، كالاخبار بعصمته، وهزيمة اعدائه، وغلبة الروم، ودخول البيت الحرام، واخباره الغيبي المتعلق بالحقائق الالهية والحقائق الكونية، والامور الاخرية (٩٢).

وفي التعقيب على ذكر الاخبار الغيبية التي تضمنتها سورة الفتح ذكر النورسي ان الاخبار الغيبي له لمعات كثيرة لاتعد ولا تحصى، لذا فان حصر اهل الظاهر تلك الاخبارات الغيبية في اربعين او خمسين آية فقط إنما هو ناشئ من نظر ظاهري سطحي، بينما في الحقيقة هناك ما يربو على الالف منها، بل قد تكون في آية واحدة فقط اربعة او خمسة اخبار غيبية، ويعني بها الآية الاخيرة من سورة الفتح (٩٣).

ووجه آخر من وجوه الاعجاز الغيبي، ان القرآن ينقل النقاط الاساسية للاخبار الصادقة كالشاهد الحاضر لها باسلوب بديع غزير المعاني لينبه بها البشر، فقد نقل اخبار الاولين، واحوال الاخرين، واسرار الجنة والجحيم؛ حقائق عالم الغيب واسرار عالم الشهادة، والاسرار الالهية والروابط الكونية. تلك الاخبار مشاهدة شهود عيان، لايردها الواقع ولايكذبها المنطق، بل لا يستطيع ردّها ابدا ولو لم يدركها، فهو مطمح العالم في الكتب السماوية، اذ ينقل الاخبار مصدقا بها في مظان الاتفاق، ويبحث فيها مصححا لها في مواضع الاختلاف (٩٤)، ولهذا الكلام صلة بالوجه السابق ايضاً

لكني لست مع النورسي في قوله: بالنسبة الى علماء الباطن فالقرآن الحكيم من اوله الى اخره نوع من الاخبار عن الغيب (٩٥): فاصطلاح علماء الباطن ليس منضبطا عند العلماء، ولا بدّ من الابتعاد عن هذه الثنائيات؛ لانها من الاسباب التي اوقعت الامة في سوء الفهم؛ فاصبح عندنا علماء ظاهر وعلماء باطن، ودنيا وآخرة، وعلم ودين..

الوجه التاسع: خطابه كل طبقة من طبقات الناس

سئل النورسي رحمه الله عن سر اختلاف المفسرين في وجوه تركيب القرآن فقال: ان من وجوه اعجاز القرآن نظمه وسبكه في اسلوب ينطبق على افهام عصر فعصر، وطبقة فطبقة (٩٦).

فالقرآن قد حافظ على شبابيته وفتوته فخاطب كل طبقة من طبقات البشر في كل عصر من العصور، وكأنه متوجه توجها خاصا الى تلك الطبقة بالذات، اذ لما كان القرآن ذا خطاب عالمي متوجها الى كل طبقات البشر للايمان ومعرفة الله؛ ناسب ان يكون الدرس الذي يلقيه موائما فهم كل منها، فكل طائفة تأخذ حظها، ولا يدع القرآن احداً محروما من اعجازه (٩٧). وتلك هي التنزلات الالهية الى عقول البشر لتأيس الاذهان، والمتنوعة بتنوع اساليب التنزيل (٩٨)، حتى ان من لا يملك الا الرؤية فانه يرى الاعجاز ولو كان اصم ابكما، وذلك ان كلمات المصحف تتقابل وينظر بعضها الى بعض فمثلاً: ان كلمة وثامنهم كلبهم تناظر كلمة قطمير في سورة فاطر، فلو ثقت الصفحات ابتداء من الكلمة الاولى لتبينت الكلمة الثانية بانحراف يسير، ولفهم اسم الكلب!! (٩٩). ويخيل اليّ ان الاعجاز لمن لا يملك الا الرؤية فيه ضرب من التكلف والمبالغة؛ لان التحكم في طباعة المصاحف يفوت مثل هذه القضايا!! أضف الى هذا ان الاشتغال بهذه الامور ليس من مقاصد القرآن التي ذكرها بديع الزمان

الوجه العاشر: تاسيسه للدين وتبديله للحياة

لقد اسس القرآن دينا لامثيل له في الماضي ولا في المستقبل، فهو حبل الله المتين، يمسك الارض لئلا تفلت، ويديرها دورانا سنويا ويوميا. فلقد وضع وقاره وثقله على الارض، وساسها وقادها، وحال بينها وبين النفور والعصيان (١٠٠). وقد تمكن القرآن من تبديل الحياة الاجتماعية تبديلا هائلا نور الآفاق وملاها بالسعادة والحقائق، واحداث انقلابا عجيبا في نفوس البشر وفي قلوبهم، او في ارواحهم وفي عقولهم، او في حياتهم الشخصية والاجتماعية والسياسية، وادام هذا الانقلاب واداره (١٠١).

الوجه الحادي عشر: عدم معارضته مع طول الزمان

طوال ثلاثة عشر قرنا من الزمان يحمل اعداء القرآن روح التحدي والمعارضة، وتولدت في اولياته واحبائه روح التقليد والشوق اليه، وكتب هؤلاء وهؤلاء ملايين الكتب التي لو قورنت مع القرآن لحكم العامي من الناس بأنها كتب بشرية وهذا القرآن كتاب سماوي، ولقد فتح القرآن الابواب للبشر، ونشر مضامينه طوال هذه المدة الطويلة، ودعا لنفسه الارواح والاذهان، ومع هذا لم يستطع البشر معارضته، فلقد انتهى زمن الامتحان (١٠٢). قلت: والتحدي سيظل قائما الى ان يرث الله الارض ومن عليها.

الوجه الثاني عشر: الاعجاز العلمي

يتحدث النورسي عن منجزات العلم الحديث، ويرى ان القرآن لم يهمل هذا الجانب لانه خطاب للبشرية قاطبة، وقد اشار القرآن الى هذا من جهتين؛ الاولى: معجزات الانبياء. والثانية: سرده للحوادث الجزئية، ورأى ان البحث فيه يتطلب دقة متناهية (١٠٣).

وتعرض له في تفسير الرعد والبرق فقال: هما آيتان ظاهرتان من جهة العالم الغيبي في ايدي الملائكة الموكلين على عالم السحاب لتنظيم قوانينه. ثم ان الحكمة الالهية ربطت الاسباب بالمسببات فاذا تشكل السحاب من بخار الماء المنتشر في الهواء صار قسم حاملا للالكترية المنفي وقسم حاملا للالكترية المثبت؛ فحينما يتقاربان يتصادمان دفعة فيتولد صدى الرعد، ولا تجري هذه الحالات الا تحت نظام وقانون يتمثلها ملك الرعد والبرق (١٠٤).

ورسائله زاخرة بالامثلة على هذا الوجه من اعجاز القرآن الكريم.

الوجه الثالث عشر: القرآن هو الطريق الموصل الى معرفة الله تعالى

ذكر النورسي ان القرآن قد فاق مناهج الصوفية والمتكلمين والفلاسفة في الوصول الى معرفة الله تعالى، ومع ان منهج الصوفية والمتكلمين قد تفرعا من القرآن الا ان البشر قد افرغهما في صور شتى؛ لذا اصبحا منهجين طويلين، وذوي مشكلات، فلم يبقيا مصانين من الاوهام والشكوك، اما منهج القرآن الذي يعلنه ببلاغته المعجزة، وبجزالته الساطعة فلا يوازيه طريق في الاستقامة والشمول، فهو اقصر طريق واقربه الى الله، واشمله لبني الانسان (١٠٥).

ويؤكد على ان ما يعرف لنا ربنا ثلاثة معرفين: كتاب الكون، والاية الكبرى لهذا الكتاب العظيم، وهو محمد ﷺ، والقرآن الحكيم (١٠٦).

ويفهم من هذا ان مصدر معرفة الخالق التي هي اهم المعارف والتي هي حق الله على عباده ومصدر معرفة الحقائق الاخرى هما: مصدر الوحي، ومصدر الكون يعني الحس والتجربة والمشاهدة. وهو كلام جدير بالفهم والتطوير؛ ليستثمر في مناهج

التعليم والترية.

ويؤكد النورسي رحمه الله على ان لاتزاحم بين طرق الاعجاز (١٠٧)، ويوقن ان وجوه الاعجاز لاتنقضي، وليس هذا الا طرفا يسيرا من الكلام كشف عن شئ من إعجاز القرآن ولم يوفه حقه. وسيظل القرآن معجزة قائمة متجددة، وليس الزمن وحده هو الكفيل باظهار وجوه اخرى، بل التفكير والتأمل في آيات القرآن، بل الحياة مع القرآن.

شبهات على اعجاز القرآن

لم يغفل النورسي الشبهات التي اثارها ملاحظة العصر على القرآن الكريم، بل كان لها بالمرصاد، ويؤكد على ان القرآن الكريم يحمي نفسه وينفذ حكمه (١٠٨).

واستعرض النورسي اهم تلك الشبهات، وهي:

الاولى: وجود المتشابهات والمشكلات في القرآن مناف للاعجاز المؤسس على البلاغة المبنية على ظهور البيان ووضوح الافادة.

الثانية: ان القرآن اطلق وأبهم في حقائق الخلقة وفنون الكائنات وهو مناف لمسلك التعليم والارشاد.

الثالثة: ان بعض ظواهر القرآن أميل الى خلاف الدليل العقلي.

وردّها بقوله: ان اساليب القرآن مرعي فيها جمهور الناس «التنزلات الالهية الى عقول البشر» حتى يتسنى للعوام دركها وفهمها؛ ولذلك جاءت متشابهة. واكد على هذا عند قوله تعالى فسواهن سبع سموات، قال: اذا تفكرت في وسعة خطابات القرآن ومعانيه ومراعاته لافهام عامة الطبقات من ادنى العوام الى اخص الخواص ترى امرا عجيبا فكل يفهم سبع سموات بقر استعداده من فيض القرآن (١٠٩).

واما قول النورسي: «اما كون العبارة مشكلا فاما لدقة المعنى وعمقه، وايجاز الاسلوب وعلويته فمشكلات القرآن من هذا القبيل (١١٠) ففيه ايهام؛ لان الاشكال يقع في الافهام لا في نص القرآن، وتأمل في الايات التي زعموها مشكلة ! تجد اختلافا بينهم في عددها وقضية اشكالها. فكل اشكال فهو في فهم صاحبه لقلة علمه وضعف وسيلته. وان القرآن برئ من إغلاق اللفظ وتعقيد العبارة.

وردّ الشبهة الثانية بقوله: لو فصل القرآن في العلوم في ذلك الوقت لشوّس اذهان الجمهور، والاولى ان يكلم الناس على قدر عقولهم.

وردّ الشبهة الثالثة بقوله: ان مقاصد القرآن اربعة، فذكر الكائنات في القرآن انما هو تبعي واستطراذي للاستدلال بالصنعة الالهية والنظام البديع على النظام الحقيقي جل جلاله (١١١).

والحاصل ان اعجاز القرآن الكريم لانه نزل لجميع الناس في جميع الاعصار يكون هذه النقط الثلاث دلائل اعجازه، والذي علم القرآن المعجز ان نظر البشير النذير وبصيرته النقادة ادق واجلى وانفذ من ان يلتبس او يشبه عليه الحقيقة بالخيال، وان مسلكه الحق اغنى واعلى وارفع من ان يدلس او يغلط على الناس (١١٢).

واورد النورسي رحمه الله كذلك شبهات على اسلوب القرآن وردّ عليها رداً قاطعاً، وهي: كيف ينزل الله بعظمته وجلاله للتكلم مع البشر بمثل محاوراة الانسان، وبايراد امثلة جزئية بأشياء محقرة، وما الحاجة الى امثال هذه التمثيلات المومنة الى العجز عن اظهار الحقيقة !!

وردّ النورسي هذه الشبهات بما مضمونه: ان ارادة الله تعالى وعلمه وقدرته كلية عمومية شاملة، وليس مقياس عظمته الا مجموع آثاره، فاذا ألقت الشمس ضياءها على ذرة ملوثة أيقال لها: كيف تنزلت بعظمتها للاشتغال والاهتمام بمثل هذه الذرة

!؟ ولما كانت هذه الذرات الخسيسة مخلوقة لله معلومة له فلا مشاحة بالبداهة ان يبحث عنها، ولما كان المخاطب بهذا الكلام بشراً لبس القرآن اسلوب البشر الممزوج بحسياته المسمى بـ«التنزيلات الالهية الى عقول البشر».. آلا تراك اذا حاورت صبيا تنصّبى له! ولما كان المقصد من إنزال القرآن إرشاد الجمهور، والجمهور عوام لا يرون الحقائق المحضة والمجردات الصرفة عراة عن متخيلاتهم - ألبس الله تعالى بلطفه وإحسانه الحقائق لباس مألوفاتهم؛ لتحسن ألفتهم(١١٣).

نتائج الدراسة

وبعد، فان اهم ما يمكن ملاحظته على منهج بديع الزمان في اعجاز القرآن وبيانه له هو اننا ينبغي ان ننظر الى الخلفية التي وقف عليها بديع الزمان في بيانه لاعجاز القرآن، ولاشك كما اسلفنا انها تقوم على ارضية التحدي والصراع، ولئن حرص علماؤنا على بيان اعجاز القرآن للعرب على وجه التفصيل ولغيرهم على وجه الاجمال، فان النورسي كان حريصاً على ان يبين وجوه اعجاز القرآن للناس كافة على وجه التفصيل.

صحيح ان النورسي قد تأثر بمن سبقه في بيان اعجاز القرآن الا اننا يجب ان نعترف بأنه حدد معالم للاعجاز القرآني لم يسبق اليها، ومع انه معجب بعبد القاهر الجرجاني ونظريته في نظم القرآن الا انه لم يتوقف عند حدود ما قاله عبدالقاهر، بل فصل القول في قضية اخرى منبثقة عن هذه النظرية وهي قضية المناسبات حيث اولاهها اهمية كبرى، وطبقها تطبيقاً شاملاً في الايات التي فسرها، بحيث فاق الزمخشري في هذا التطبيق، وهذه المناسبات ثلاثة: وجه نظم الاية مع الاية، ووجه نظم جمل الاية الواحدة، ووجه نظم كيفية جملة جملة، بمعنى تناسق اجزاء الجملة الواحدة في ألفاظها، وتناسبها في معانيها وهذا التفات رائع من النورسي الى نظرية النظم واهميتها في فهم سرّ الاعجاز في القرآن الكريم.

كذلك، نرى اعجاب النورسي بعبد القاهر الا انه لم يقلده في الاقتصار على وجه واحد من وجوه الاعجاز القرآني، ولم يجعل نظرية النظم الوجه الوحيد في الاعجاز.

ولابدّ من التنبيه على قضية اخرى عند النورسي رحمه الله، وهي تفرد بعض وجوه جديدة في اعجاز القرآن كلاعجاز المعرفي الحضاري، وتأكيده على وحدة العلوم، وان القرآن مصدر اساسي للعلم والمعرفة، وبيانه وحدة القرآن البنائية، وهيمنة القرآن على الكتب كلها.. كل ذلك مما ابدعه بديع الزمان في اعجاز القرآن.

ولقد ضرب النورسي امثلة رائعة على كل وجه من وجوه اعجاز القرآن، وعلى كل فرعية من فروع اعجازه، ولم يقتصر في بيانه ذلك على الامثلة المكرورة عند السابقين من العلماء.

ويبدو من خلال استعراض كتب الاعجاز ان مؤلفيها كانوا حريصين على ان يظهروا اعجاز القرآن على مستوى العلماء، فكان حديثهم معنيا به العلماء دون غيرهم، ورأيت النورسي رحمه الله قد اولى العوام عناية خاصة في بيان لاعجاز القرآن، وهذا باد من حديثه الكثير المتكرر بأن القرآن يفهمه العوام، معجز لطبقة العوام... فما سرّ هذا الاهتمام بالعوام؟ لاشك ان النورسي مثال يحتذى للعالم المربي، فقد اراد ان يرتفع بمستوى العوام حتى يمكن الاكثية منهم من ان تعي القرآن وتفهمه، وتسعى من خلاله الى تحقيق سعادة الدارين، والارتقاء الى مستوى الخطاب القرآني.

لقد ركز بديع الزمان حديثه في الاعجاز - بوجه خاص - على امرين: اولهما الاعجاز البياني، والثاني الاعجاز المعرفي والحضاري في مواجهة الغرب وفلسفته المادية، ولكن مادور الاعجاز البياني وقد فسدت سليقة الناس اللغوية؛ بسبب غلبة صنعة اللفظ حين استعرب العجم واختلطوا بالعرب، كما ذكر النورسي نفسه ذلك (١١٤)؟ يوقن النورسي ذلك العالم المربي ان التربية تحتاج اول ما تحتاج الى الطريقة والاسلوب، والبلاغة والادب امثل طريق الى ذلك، فهي خاصية الانسانية، وان اعلى ما يربي روح البشر، وألطف ما يصفى وجدانه، واحسن ما يزين فكره، وابسط ما يوسع قلبه، انما هو نوع من الادبيات، ولامر ماترى هذا النوع ابسط الفنون واوسعها محالا وانفذها تأثيراً وألصقها بقلوب البشر حتى كأنه سلطانها. ويؤكد رحمه

الله على اهمية البلاغة وتأثيرها على العقل والوجدان، فتلك الاسباب نرى النورسي يولي هذا الوجه اهمية قصوى. وينهج النورسي في حديثه عن الاعجاز البياني طريقتين: اولهما: اقامة الادلة والبراهين الشافية على ذلك، وقد شيد هذا الطريق بتفسيره الرائع لسورة الفاتحة والآيات الثلاثة والثلاثين الاولى من سورة البقرة، وثانيهما: دفع كل الشبهات التي تعترض هذا الوجه في اعجاز القرآن، وقد رأينا بيانه المقنع لأسرار التكرار في اسلوب القرآن، ورأينا بيانه المقنع لتنزه القرآن عن الشعر، ويخيل إلي ان النورسي قد اجاد في هذا اكثر من الباقلاني رحمه الله في تجريده معظم كتابه «إعجاز القرآن» لنقد الشعر وتحليله له وبيان تفوق القرآن عليه فقد اسرف في ذلك، ولو توجه الى بيان جمال نظم القرآن لكان اهم واولى.

ورأينا كيف اجاد في بيان مبحث الفواصل القرآنية الذي لم يقتصر فيه على بيان مناسبة الاية لما ختمت به، بل بين انها تشتمل على قواعد اساسية للايمان بالله تعالى وصفاته، وتثبت مقاصد القرآن الكلية، وبيّن الآثار الايمانية والنفسية للفاصلة القرآنية على وجدان الانسان وقلبه، ولم أر احدا سبق النورسي الى هذا البيان البديع.

اما اعجاز القرآن المعرفي والحضاري فقد استطاع النورسي ان يدركه ويبرهن عليه وبواجه به في عصر التحدي، وثبت من خلاله فشل وفساد المدنية الغربية الزائفة، وكيف انها ضللت البشرية وموهتها عن رؤية الحق والحقيقة لقد كان النورسي في هذا يتكلم بلسان الواقع وبحاله المؤسف حين تركت الامة شرعة الله ومنهاجه وحذت حذو الغرب شبرا بشبر وذراعاً بذراع لقد كان كلامه دعوة صريحة لاستدعاء القرآن الكريم الى عالم الواقع الحياتي والمعرفي، وليكون المرجعية العظمى للامة في تصحيح عقيدتها وثقافتها، وإقامة حضارتها ومدنيتها.

والنورسي رحمه الله في بيانه ان العلوم الاجتماعية والانسانية والطبيعية تنبثق من مشكاة القرآن الكريم، وترتكز على وجه التحديد على اسماء الله الحسنی - يكون قد اضحى علما من اعلام اسلامية المعرفة، ولذا ارى من الضروري اقامة الجسور بين افكار النورسي وبين المعهد العالمي للفكر الاسلامي.

ان افكار بديع الزمان في اعجاز القرآن فيها من الواقعية والحيوية ما يمكن من بلورتها في عالم الواقع؛ وذلك بتدريس افكاره وتطويرها والبناء عليها، وعدم الجمود والوقوف عندها، فان هذا الشعب الذي حمل راية الاسلام عدّة قرون لقادر على ان يعيد المجد التليد على اسس القرآن الكريم ودستوره الذي طالما كافح النورسي به الحضارة الغربية المادية.

وهكذا، سيظل القرآن زاد العلماء الذي لاتنقضي عجائبه، وسيبقى مهيمنا على الكتاب كله والمعرفة كلها، وما تزال العلماء تقول: ان القرآن ما زال بكرة!

لقد وقفت على منجم ثر من الافكار، وان كل فكرة تعدّ وجها معجزا للقرآن الكريم، ولا ادري ابلغت في هذا البيان ام قصرت !

وسبحانك اللهم وبحمدك، اشهد أن لا اله الا انت، استغفرك واتوب اليك.

الهوامش

(١) علي محيي الدين علي؛ ترجمة بديع الزمان النورسي (مقدمة كتاب الانسان) (بلا) دار الاعتصام، مصر. / ٢٨.

(٢) نفسه ص ٢٨. وانظر ص ٥٢.

(٣) نفسه ص ٣٩.

(٤) بديع الزمان النورسي؛ اشارات الاعجاز في مظان الايجاز، تحقيق احسان الصالحي ١٩٩٤، دار سوزلر. إسطنبول ص ٢٣،

وانظر بديع الزمان النورسي؛ الكلمات، ترجمة احسان الصالحي ١٩٩٢ دار سوزلر، إسطنبول ص ٢٦٤.

(٥) بديع الزمان النورسي؛ الكلمات، ترجمة احسان الصالحي ١٩٩٢، دار سوزلر إسطنبول ص ٢٤٨-٢٤٩. وانظر، الكلمات

ص ٣٤٥، وبديع الزمان النورسي؛ حقيقة التوحيد، ترجمة احسان الصالحي ١٩٨٥ مطبعة العاني. بغداد ص ٦٦-١٢١، ٦٧

- وبديع الزمان النورسي؛ الآية الكبرى، ترجمة احسان الصالحي ١٩٨٣ مطبعة العاني، بغداد ص ٨٧.
- (٦) ابو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني؛ المفردات (بلا) دار المعرفة، بيروت ص ٣٢٢-٣٢٣.
- (٧) جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر السيوطي؛ الاتقان في علوم القرآن ١٩٧٣، المكتبة الثقافية، بيروت: ١١٦/٢.
- (٨) المكتوبات، مرجع سابق ص ١١٤.
- (٩) نفسه ص ٢٧٢، وانظر، الكلمات ص ٧٠٣
- (١٠) الاشارات، مرجع سابق ص ١٧٩-١٨١.
- (١١) انظر الكلمات، ص ٤٢٤-٤٢٦. والآية الكبرى ص ٨٨.
- (١٢) انظر الآية الكبرى، ص ٨٩
- (١٣) اديب ابراهيم الدباغ؛ مختارات من المثنوي العربي النوري لبديع الزمان النورسي ١٩٨٣ مطبعة الزهراء، الموصل، ص ٣٩
- (١٤) الاشارات ص ١٨٨
- (١٥) المكتوبات ص ٢٤٥-٢٤٦.
- (١٦) نفسه.
- (١٧) الكلمات ص ٤٤٤. الاشارات ص ١٨٧
- (١٨) انظر الاشارات ص ١٨٧
- (١٩) مصطفى صادق الرفاعي، اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ١٩٦١، المكتبة التجارية مصر ص ١٩١
- (*) اهتم بديع الزمان رحمه الله باعجاز القرآن اهتماما بالغاً فكتب عدّة رسائل كشف فيها عن نظريته في اعجاز القرآن، و اشار الى ثلاثة مواضع من مؤلفاته لمعرفتها، وهي: اشارات الاعجاز وبيّن فيه وجهها واحدا وهو اعجاز النظم، والمكتوب التاسع عشر وهو رسالة المعجزات الاحمدية في الرشحة الرابعة عشرة، ورسالة اللوامع، وهي مطبوعة في آخر الكلمات (الكلمات ٢٦٣) ولكنه تحدث كذلك في رسالة المعجزات القرآنية وهي الكلمة الخامسة والعشرين وتحدث كذلك في رسالة الآية الكبرى، وبيّن انه ذكر خمسة عشر وجهاً من وجوه اعجاز القرآن في كتاب المثنوي العربي النوري (الكلمات ٢٦٨) وذكر مقدمة لاعجاز القرآن في الصيقل الاسلامي (الاشارات ١١٨).
- (٢٠) المكتوبات ص ٢٥٣.
- (٢١) بديع الزمان النورسي: اللغات، ترجمة احسان الصالحي ١٩٩٣، دار سوزلر، إسطنبول ص ٤٠، وانظر، رسالة الشيوخ للنورسي ايضاً، ترجمة احسان الصالحي ١٩٨٤ مطبعة الزهراء، الموصل ص ١٢، وانظر الكلمات ص ٢٦٤، ٨٨١. الآية الكبرى ص ٨٨، ٨٢ المكتوبات ص ١٤٣، ١١٨.
- (٢٢) الآية الكبرى ص ٨٣.
- (٢٣) الاشارات ص ٢٠٢
- (٢٤) نفسه ص: ١١٨-١٢٥
- (٢٥) نفسه ص ٢٣
- (٢٦) عبدالقاهر الجرجاني: دلائل الاعجاز، تصحيح احمد المراغي ١٩٥٠ دار المكتبة العربية، مصر ص ٥٥-٥٦
- (٢٧) نفسه، ص ٢٧١-٢٩٠ وانظر د. فتحي عامر؛ فكرة النظم بين وجوه الاعجاز في القرآن الكريم ١٩٧٥، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية، القاهرة / ١١٥
- (٢٨) نفسه ص ٢٥٠

- (٢٩) فضل حسن عباس: اعجاز القرآن الكريم ١٩٩١ دار النشر مجهولة، عمان ص ٧١، وانظر اعجاز القرآن للرافعي / ١٦٦-١٦٧
- (٣٠) نفسه / ٨٢
- (٣١) مصطفى الصاوي الجويني، منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان اعجازه (الطبعة الثالثة) دار المعارف، القاهرة ص ٢٩٩. وانظر اعجاز القرآن لفضل عباس / ٨٣
- (٣٢) الاشارات ص ١١٨-١١٩
- (٣٣) المكتوبات ص ٢٤٥-٢٤٦
- (٣٤) الاشارات ص ١٣٣
- (٣٥) الكلمات ص ٢١٢
- (٣٦) الاشارات ص ١١٧
- (٣٧) الكلمات ص ٤٢٤
- (٣٨) نفسه ص ٢٤٦-٢٥١
- (٣٩) الاشارات ص ١٣٤-١٣٧
- (٤٠) انظر الاتقان ، مرجع سابق: ١٢٢/٢
- (٤١) الاشارات ص ٥٩، المكتوبات ص ٤٣٩
- (٤٢) اللمعات ص ٤١٧-٤١٨، الاشارات ص ٤١-٤٤
- (٤٣) الاشارات ص ٤٩، ٥٦
- (٤٤) الكلمات ص ٥٢٨
- (٤٥) الاشارات ص ٤٠
- (٤٦) بديع الزمان النورسي؛ رسالة الثمرة، ترجمة احسان الصالحي ١٩٨٢ مطبعة الزهراء، الموصل ص ٨١. وانظر الكلمات ص ٢٦٥-٢٦٦، ٢٥٨-٢٣٨، المكتوب ص ٢٦٧-٢٦٨، الاشارات ص ٣٩، مختارات من المثنوي ص ٨٨
- (٤٧) الاتقان مرجع سابق ١٢٣/٢
- (٤٨) ابو سليمان الخطابي؛ بيان اعجاز القرآن، مطبوعة ضمن ثلاث رسائل في الاعجاز، تحقيق محمد زغلول سلام ومحمد خلف الله (بلا) دار المعارف مصر ص ٢٦
- (٤٩) الكلمات ص ٥٣٠-٥٣٢، الثمرة ص ٨٧
- (٥٠) الاشارات ص ١١٩-١٢٠
- (٥١) الكلمات ص ٤٣٥
- (٥٢) منهج الزمخشري، مرجع سابق ص ٢٠٨
- (٥٣) الكلمات ص ١٥٠-١٥٢
- (٥٤) الكلمات ص ٤٨٣
- (٥٥) نفسه ص ٤٨٤-٥٠٠، وانظر المكتوبات ص ٢٤٢، مختارات ص ٥٧
- (٥٦) احمد احمد بدوي؛ من بلاغة القرآن (بلا) دار نهضة مصر، القاهرة ص ٧٥-٨٩
- (٥٧) الكلمات ص ٥٠٥-٥٠٦
- (٥٨) دلائل الاعجاز، مرجع سابق ص ٣٤٩

(٥٩) الكلمات ص ٤٦٠، ٤٨٢. الاشارات ص ٤١، ١٨٨

(٦٠) الاشارات ص ٢٤٠

(٦١) الكلمات ص ٥٠٠

(٦٢) انظر، جار الله محمود بن عمر الزمخشري؛ الكشاف عن حقائق عوامض التنزيل (بلا) دار الكتاب العربي، مصر ٣٠/١-

٤٦، الاشارات ص ٤٥-٧١

(٦٣) محسن عبد الحميد؛ مقدمة اشارات الاعجاز ص ٧

(٦٤) الكلمات ص ٤٥١-٤٦٧، ٨٨١

(٦٥) نفسه ص ٨٨١، وانظر اعجاز القرآن للرافعي ص ٢٣٥

(٦٦) نفسه ص ٨٨٠، ٤٧١-٤٧٧

(٦٧) نفسه ص ٤٧٢

(٦٨) نفسه ص ١٤١، ١٤٤، ٥٠٨-٥١٠

(٦٩) نفسه ص ١٤٥، ٤٧٢

(٧٠) نفسه ص ٤٧٣-٤٧٤

(٧١) نفسه ص ٤٧٦

(٧٢) نفسه ص ٨٥٦

(٧٣) اللمعات ص ١٨٣-١٨٤، ١٧٧

(٧٤) الكلمات ص ٤٧١

(٧٥) نفسه ص ٢٧٢

(٧٦) نفسه ص ٢٧٩، ٢٩٢-٢٩٣، ٥١٥، الاشارات ص ٢٣٨

(٧٧) اللمعات ص ٥٢٦

(٧٨) نفسه ص ٤٢٣-٤٢٤

(٧٩) انظر الكلمات ص ٢٩٠، ٢٩١ ٤٦٣

(٨٠) الاشارات / ١٧٤، الكلمات / ٤٦٠، ٤٦٦، ٨٨١. اللمعات / ٤٧، ٤٢١. المكتوبات / ٢٤٧، ٤٣٩، ٥٠٦-٥٠٨

(٨١) الكلمات ص ٢٦٧

(٨٢) الاشارات ص ١٧٢

(٨٣) الكلمات ص ١٤٣، مختارات ص ٦١

(٨٤) نفسه ص ٤٨١-٤٨٢

(٨٥، ٨٦) نفسه / ٥١٢، ٥١٤

(٨٧) الاشارات ص ١٧٠

(٨٨) الكلمات ص ١٥٤-١٥٥

(٨٩) محمد عبد العظيم الزرقاني؛ مناهل العرفان في علوم القرآن (بلا) مطبعة الحلبي، مصر ٣٠٩/٢

(٩٠) الكلمات ص ٥٢٠، الآية الكبرى ص ٨٦

(٩١) الاشارات ص ٥٩

(٩٢) الكلمات ص ٤٦٨-٤٧١، ٨٨١. الثمرة ص ٨٣

- (٩٣) اللمعات ص ٤٩
(٩٤) الكلمات ص ٨٨٢
(٩٥) نفسه ص ٤٦٩
(٩٦) الاشارات ص ٤٩، الثمرة ص ٨٣
(٩٧) الكلمات ص ٤٧٨، المكتوبات ص ٢٣٨ - ٢٤٠
(٩٨) نفسه ص ٨٨٢
(٩٩) المكتوبات ص ٢٤٠ - ٢٤١، ٥٢٣
(١٠٠) الكلمات ص ٨٨٣
(١٠١) نفسه ص ٥١٨، الآية الكبرى ص ٨٣
(١٠٢) نفسه ص ٨٨٣، ٥٠٣ - ٥٠٤، وانظر الاتقان ١٢٢/٢
(١٠٣) نفسه ص ٢٧٧ - ٢٧٨
(١٠٤) الاشارات ص ١٤١
(١٠٥) حقيقة التوحيد، مرجع سابق ص ١٢١
(١٠٦) الكلمات ص ٢٥٤
(١٠٧) الاشارات ص ١٧٩
(١٠٨) نفسه ص ١٧٤، الكلمات ص ٨٧٨
(١٠٩) نفسه ص ٢٢٧
(١١٠) نفسه ص ١٧٥
(١١١، ١١٢) نفسه ص ١٧٦ - ١٧٧، الكلمات ص ٢٦٦
(١١٣) نفسه، انظر ص ٢٠٢ - ٢٠٤
(١١٤) نفسه ص ١١٩

المؤتمر العالمي الثالث لبديع الزمان سعيد النورسي

“تجديد الفكر الاسلامي في القرن العشرين وبديع الزمان سعيد النورسي”

٢٤ - ٢٦ ايلول ١٩٩٥

إسطنبول - تركيا